لا تكف

بل تقدم إلى الأمام



تشارلس إسوندول

ترجمة : د. جرجس ميلاد



بل تقدم إلى الأمام

بقلم

تشارلس إسوندول

ترجمة

دكتور جرجس ميلاد

الكتاب: لا تخف بل تقدم للأمام
الكاتب : تشارلس إسوندول
ترجمة : د./ جرجس ميلاد

رقم الإيداع : ٩٦/١٤٣٥٣

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977-5607-18-3

الجمع والأخراج الفني

الطباعة

لوجوس سنتر
design By Logos Center
تليفون /فاكس ٢٩٠٦١٦١
ص.ب. ٢٤٥٥ الحرية
هليوبوليس – القاهرة

Logos Center, U.S.A.
P.O.BOX: 2433-
Stafford, TX 77497
U.S.A.

مقدمة المؤلف

ما أقسي الحياة تحت ضغط العالم ، وأنا أعني حقا أنها قاسية ! لاسيما في عصرنا هذا "عصر المسكنات ".

والناس نظيري ونظيرك نجد أنفسنا نحمل علي ذواتنا أحمالا خطيرة وثقيلة من القلق علي خيوط رفيعة للغاية من الصبر ، وكثيراً ما تنقطع هذه الخيوط وتحتاج إلي إصلاح ، ووسط الكثير الذي نحمله فهناك الضغط الذي يصل إلي ذروته في غضون أيام قليلة .

والتنافس يتطلب درجة عالية من الأداء ، يضاف إلي ذلك ضغط متطلبات البشر ، ومن هنا تشتعل الطباع وتتألم الأمعاء ، وتحدث القروح الدامية ، وتتكسر القلوب ، وتنهار الأعصاب ، وتنفجر العقول ، وربما يهوي البعض، ويحاول الكثيرون أن يكونوا رابطي الجأش لمحاولة الوفاق .

ولما كان من صميم خدمتي كراع الاهتمام بالجوانب الاجتماعية ومشاكل الذين يقعون في أزمات ، فقد قررت في وقت سابق أن أسجل المواقف الفعلية التي صادفتني في غضون ست عشرة ساعة عمل ، وهي المواقف التي تطلبت استشارة رعوية أو إرشاداً ما ، وإليك ما سجلته كما يلي :

- قام الأب والأم بإيداع ابنتهما الشابة في مصحة عقلية .
- انتحرت إحدي قريبات شابة في كنيستنا.
- اختفت الزوجة كالدخان بعد زواج دام خمس عشرة سنة ، وعاشت مع رجل آخر .
- زوجان شابان رزقا بمولود معوق.
- سيدة شابة في معسكر مسيحي مجاور تم الاعتداء عليها وطعنها.

- زوجان في منتصف العمر لا يستطيعان الاتصال فيما بينهما بدون صراخ ، وصار انفصالهما محتماً .
- صاحب عمل بدأ يشك في مستخدمه بالرغم من معرفته بأن هذا المستخدم رجل مؤمن.
- بعدما عادت زوجة أحد المرسلين إلي الولايات المتحدة صارت تعاني من انهيار عاطفي.
- اكتشف أبوان مسيحيان أن ابنهما قد انحرف.

وهذا كله عبارة عن صفحة واحدة مما كتبت ، ويمكن أن تضاعف ذلك ٣٦٥ مرة ! وأضف إلي هذا : الضغط المالي ، والتضخم ، والزحام ، والبطالة ، والسيدات اللواتي لا يرغبن في حملهن ، والفشل في الدراسة ، والوحدة ، والإدمان ، والموت .

وحتى لو كنت مؤمنا ... وتحب الله بشدة .. وتؤمن بالكتاب المقدس ... وتريد حقاً أن تسلك بالطاعة .. فلا بد من الصراعات النفسية والآلام .. لكن لا تخف.

لقد أردت أن أتحدث عن "الوجه الآخر" للحياة المسيحية . ولئن كان الهدف هو فقط لإظهار الحقيقة ، فإن المؤمنين يحتاجون لمن يخبرهم بأن الصعوبة والضغط هما في الطريق لا محالة. ومهما كانت معرفتنا الكتابية أو مؤتمراتنا عن عمق الحياة الروحية، أو اللقاءات عن الانتصارات العالية ، فهذه كلها لا تزيل صراعاتنا البشرية، ووعود الله لا تمنع حدوث ذلك ، ولعلك تسأل أناساً مثل أيوب أو يوسف أو دانيال أو بولس !

أو لعلك تفضل أن تقرأ هذا الكتاب ، والذي له نغمة مختلفة وأنا أحذرك بذلك ولا أتحدث كثيرا عن البركات الفجائية أو النجاح الذي يحدث في ليلة واحدة ، بل أتحدث كثيرا عن الوقوف بثبات في الأيام الصعبة . وسوف تتقابل مع تعبير قد خبا كثيرا في هذا الجيل الذي أبرقت حوله أضواء المعجزات الروحية .. وهذا التعبير هو : "المثابرة " أو " الصبر".

الفصل الأول

الصبـر

(المثابـرة)

تنفست الصعداء بعد طيران دام أربع ساعات ، وبينما كنت أبحث عن حقائبى سألت صديقى الذى كان ينتظرنى :

– كيف حالك ؟

– إنى أتقدم وأتعلم !

ثم أضاف بسرعة :

– لقد تعودت أن أقول : عظيم ومدهش ! كلما سئلت هذا السؤال . وإن كنت أتقدم وأتعلم ، لكنى بصراحة لست دائماً فى القمة ولست عظيما !

توقعات واقعية

التقدم (النمو) والتعليم ، وهذه هى الحياة المسيحية فى كلمات موجزة ، أليس كذلك ؟ ويبدو لى أن غالبيتنا فى عائلة الله يجب أن يعترف بأن هناك أياما " للتقدم والتعلم " أكثر من الأيام " العظيمة والمدهشة " ، ولا يوجد فى ذلك ما يخجلنا ، فتلك هى الاختبارات العادية والصحية . وكل منها يسير مثل عملية مستمرة ، وقد تكون أحيانا مؤلمة أو بطيئة ، وأحيانا مرعبة للغاية !

وأرجو أن لا تسئ فهمى ، فلا يزال يسوع المسيح هو الرب ، ولا يزال الله صالحاً ، والانتصار هو لنا ، ولكن الحياة قاسية ، وليست هى " ديزنى لاند" أو حديقة زهور أو مدينة ملاه ، أو معجزات يومية تعيد إلينا التوازن الدائم أو تشحن لنا بطارياتنا

الفارغة... ولعل مثل هذه الاحتمالات ليست فقط غير واقعية بل إنها أيضا غير كتابية .

اسمع الرسول بولس يقول : " مكتئبين فى كل شئ لكن غير متضايقين ، متحيرين لكن غير يائسين ، مضطهدين لكن غير متروكين ، مجروحين لكن غير هالكين " (٢كو ٤: ٨،٩).

هذه هى الحقيقة ، وهذا بالضبط ما يتحدث عنه هذا الكتاب ، أى المثابرة فى الضيقات والآلام وعواصف الحياة .. بدون يأس أو استسلام .

ويجب أن تعلم كذلك بأنى مللت العناوين الضخمة عن " الحياة الفائضة" ، لكنى مهتم فى الواقع بأن أشاركك كيف أن الرب يسوع سوف يظل معك عندما تخطئ أو تتألم بعمق أو عندما يساء فهمك وتبغى الفرار .

وهكذا كما ترى فإنى من أصحاب الرأى بأن إحسانه يفوق أمور الحياة البسيطة ، تماماً كما يحدث وقت الفرح والنشوة فى الأوقات الجميلة البراقة . والواقع أنه عندما ينهار القاع ونبدأ فى الشعور بعدم الأمان ، فعندئذ يدلف إلينا الرب من الباب الخلفى لكى يعيد إلينا الاستقرار .

الأخطاء الروحية الأربعة

قبل الدخول إلى لب النقاش عن إمكانية الحصول على الروحانية الحقيقية ، دعنا نوضح ما ليست عليه الحياة المسيحية ، فهناك أربعة مفاهيم عامة عن الروحانية والنضوج المسيحى لكنها فى الواقع لا تضبط ماء ، ولعلى أحذرك أنك سوف تندهش ، أو ربما تصدم ، ولكن لابد أن تثبت .

• **الخطأ الأول :**

"بما أنك مؤمن فسوف تحل كل مشكلاتك".

إننا نفعل ضررا بالغا لغير المؤمن عندما نغريه بهذا القول : "تعال إلى المسيح وعندئذ تنتهى مشاكلك"، والكتاب المقدس لا يقول ذلك أبدا ، لكنه يعدنا بأننا سوف نصبح خلائق جديدة ، ويؤكد لنا بأن نهايتنا مضمونة ، لكنه لا يضمن لنا عدم الانزلاق بمجرد دخول المسيح إلى حياة الإنسان . والواقع أنه أحيانا تزداد المشاكل ويصبح الطريق أكثر وعورة.

• **الخطأ الثانى :**

"كل ما سوف نقابله من مشاكل لها وجود فى الكتاب المقدس".

كلا ! فليس من الحكمة لنا أن نقدم مقولات واسعة فى مجالات لم يتحدث عنها الكتاب المقدس . وفى مرات عديدة لا نجد إجابات محددة فى المكتوب عن مشكلة خاصة ، وفى مثل هذه الأثناء لابد أن نسلك بالإيمان واثقين فى الرب أنه سوف يظهر لنا الخطوة التالية التى نحتاج إليها . وهكذا نجد أن الكتاب لا يقدم ببساطة حلا معينا لكل مشكلة فى الحياة.

• **الخطأ الثالث :**

"إن كانت لديك مشكلات فأنت لست روحانياً ".

أليس مخجلا أن هذه الفكرة تتنقل كثيرا فى هذه الأيام ؟ إن وجود المشكلة يعنى ببساطة أنك كائن بشري! ولذلك فلنا جميعا مشاكلنا ، ولست روحانيا لأنك تتصارع مع معضلة! وفى الواقع بعض الذين عرفت عنهم أنهم روحانيون جدا من الرجال والنساء كانوا يتصارعون مع أعمق مشاكل الحياة .

ولينتك تفكر فى أيوب وآلامه، ولم يجد حلاً لها كما لم يفهم لها سبباً ، أما مستشاروه بما لهم من أقوال قوية ومستقيمة لكنهم خدعوه لأنهم لم يجدوا حلاً أيضاً. وبالرغم من كون أيوب رجلاً روحانيا إلا أنه كانت له مشاكل عويصة.

• الخطأ الرابع :

"عندما تنصت إلى تعليم الكتاب الصحيح فإن مشاكلك سوف تحل تلقائياً".

إن تعليم الكتاب وحده لا يؤدى إلى حل فورى للمشاكل ، وبغض النظر عن نوعية التعليم أو مقدار موهبة المعلم فإن إعلان الحق لا يؤدى إلى إزالة الصعاب.

وإذا فكرت فى المكتوب كأنه خريطة دقيقة للغاية تخبرك عن كيفية الوصول إلى جهة معينة ، فإن مجرد النظر إلى الخريطة لا ينقلك تلقائياً إلى مكان ما ، ولكن لابد من مجهود معين للوصول إلى المكان ، ولابد من رفع التكاليف ، وصرف الوقت المناسب حتى الوصول إلى الهدف .

وهكذا فى الحياة المسيحية فإن خطة الله موجودة وممكنة ، وهى واضحة ومباشرة ، لكنها لا تحوى فى صفحاتها إمكانية توصيل القارئ أو إرساله بواسطة بساط سحرى .

ماهية النضوج المسيحى

كل واحد له عائلة بها أولاد لابد أن له مثالاً عمليا للنضوج ، ومهما كان عدد الأطفال فى العائلة الواحدة، ولكل طفل شخصيته المميزة ومجموعة من الصفات المعينة ، إلا أنهم يشتركون جميعا فى أمر واحد متساو بينهم، ألا وهو النمو السريع ، فهم ينمون ،

ويصبحون مسئولين ويتعلمون كيف يتصرفون بأنفسهم فى المواقف اليومية.

وهكذا الأمر فى عائلة الله التى نولد فيها بالإيمان بالرب يسوع المسيح ، فنكون فى البداية مثل الأطفال الروحانيين معرضين للكسر وغير مسئولين ومثل الأطفال شاربى اللبن الذين ينقصهم التمييز والقوة . ولكن بمرور الفوت ، نبدأ ننمو روحياً ، وكلما لاحظ آباؤنا هذا النمو، ازدادوا سرورا ، لأنهم يرون التغيير فى طعامنا وفى مسئوليتنا وفى قدراتنا وفى تمييزنا وفى حساسيتنا ، وهذا يسعدهم.

إن موضوع (عب ٥ : ١١ - ١٤) هوالنضوج (الكمال) وعدم الكمال ، وفى العدد (١١) حيث يتكلم عن الكاهن القديم فيقول : " الذى من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به إذ قد صرتم متباطئ المسامع ".

لم يكن الأمر أن العبرانيين لم يسمعوا ، بل إنهم لم يطيعوا، وقد سمعوا أصواتاً فى آذانهم ، لكنهم تقسوا فى الإصغاء وتباطأوا فى السمع .

ثم نقرأ : "لأنكم إذ كان ينبغى أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان تحتاجون أن يعلمكم أحد ما هى أركان بداءة أقوال الله وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوى . لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل. وأما الطعام القوى فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر " (عب ٥ : ١٢ - ١٤) .

إذا ماهى علامة الكمال ؟ هى ممارسة ما نسمعه ، ومن خلال الممارسة نصبح كاملين ، وهناك فرق بين أن تتقدم فى العمر مع الرب وبين أن تنمو فى الرب.

هناك كثيرون يجوبون من كنيسة إلى أخرى ، ومن مؤتمر للكتاب المقدس إلى آخر ، ويملأون كراساتهم المتعددة ، ويستهلكون كتاباً مقدساً الواحد بعد الآخر ، لكنهم لا يزالون أكثر الناس تقلقلاً واهتماما بالتفاصيل الدقيقة وغير مسئولين . ولكن لماذا ؟ ذلك لأنهم لا يمارسون ما يسمعون .

وهذا هو مجمل سفر يعقوب ، وهو الرجل الذى يهتم بأن "يري" صدق ما يقال ، كما أنه يريدك أن تختبر ما تدّعى بأنك تؤمن به وذلك بأن تفعله عمليا !... فالشخص الكامل (البالغ) هو ذاك الذى يهتم بالممارسة المنتظمة على أساس مستمر لما يسمع ولما يعمل . أما مجرد الاطلاع على تعاليم الكتاب المقدس فلن يحل المشاكل.

وإنى أفضل أن أطلق اسم "الانتشار الروحى " على عملية النضوج، لأننا نسمع ثم نمتص الحق الكتابى ومن ثم ندع هذا الحق أن يغزو حياتنا الداخلية فى المكان العميق بها حيث تتكون المواقف وتتخذ القرارات داخل الإنسان . وعندما تطرأ ظروف تتطلب حلاً يفوق المعتاد فإن الروح القدس الساكن فينا تكون له ذخيرة كافية لكى يمنحنا الاستقرار والقدرة على التكيف ، وهكذا يعمل فى كل أنواع الإختبارات الصعبة.

عندما تأتى المنغصات ، عليك أن تطيع الله وتنفذ كلمته فى التعامل معها، وعندما تأتى التجارب طبق مبادئ المكتوب وهى

التى تساعدك على مواجهتها والانتصار عليها ، وعندما تقوم خطايا الجسد، طبّق الحقائق التى تعلمتها . ومن خلال اختبار تطبيقك لكل ذلك فإنك تزداد حكمة ونضوجا.

ولا يعقل أن الشخص الذى يسمع طبيبه يشخص مرضه على أنه ورم ينمو بسرعة ، ثم نظن أن هذا الورم سوف يختفى فجأة لأنه قد تحدث فقط مع الطبيب ، كلا بالطبع ، فلابد من الجراحة (أو العلاج).

وبالمثل كذلك ، فإن الإطلاع على الحق لا يجعلنا كاملين (ناضجين) ، كما أن ذلك بفرده – بدون تطبيق – لن يحل مشكلة واحدة.

وأتمنى أن لا تسئ فهمى ، فأنا أحب كلمة الله ! كما أنى مقتنع أكثر من ذى قبل بأن تصديق الحقائق الكتابية له قيمة لا تقدر ، ولكن بالرغم من أن الكتاب المقدس هو كتاب جدير بالثقة ، لكنه بالتأكيد ليس دواء سحرياً تدلك به نفسك ثلاث مرات يومياً لكى تطرد به الشيطان ، ولا هو شئ تأخذه فى داخل نفسك بوعد من الله على أمل أنك فى الصباح التالى سوف تعرف وتختبر فجأة كل الحقائق المدونة به .

ولا يوجد على هذه الأرض ما يسمى " بالنضوج الفوري" ، ولا يقدم لنا الله تركيبة تنتج مؤمنين ناضجين فى ليلة واحدة ، لكن النمو المسيحى يتأتى من عملية جادة عن المثابرة (وهى الكلمة المنسية) أى تطبيق ما نسمع ثم الطاعة له ، ومن ثم نتعلم كيفية التعامل مع المشاكل المحتومة .

وهكذا كان صديقى محقاً عندما قال إن هناك كماً هائلاً من أيام " النمو والعلم" بالمقارنة بالأيام " العظيمة المدهشة ".

وسوف أفصِّل فى هذا الكتاب المواقف المعينة التى نقابلها يومياً أو ربما أسبوعياً على الأقل ، وسوف أتناولها بجرأة وعلى أساس كتابى . ولعلك تدرك أننا لا نحاول أن نتفادى مشاكلنا ، بل بالعكس نسرع الخطى فى مواجهتها ونسبر غورها ونخرج منها أكثر قوة فى المسيح .

ويذخر هذا الكتاب بمواد حقيقية عالمية ، وسوف يساعدك ببعض المعلومات التى تربط الواقع بالروحانية الممكنة والمفهومة ، وباختصار، إنه كتاب مخصص لمساعدتك على المثابرة وسط أمواج الضغوط على حياتك .

الجزء الأول

* * الضغوط الخارجية * *

الفصل الثانى

سوء الفهم

(وصمة شلل البشرية)

هناك أمور قليلة يصعب الحياة معها ، ومنها أن يُساء فهمك ، وربما يكون ذلك غير محتمل ، لأنك فى مثل هذا الوضع لا تملك دفاعاً عن نفسك.

وربما لاحظت أنك مهما حاولت جاهداً أن تصحح هذا المفهوم عنك فإن الحال يصير أسوأ ، وبينما تكون مستعداً لاستقامة الأمور تجد أنك تغوص أكثر إلى الأعماق.

لى صديق له معرفة بشاب محام فى ولاية أخرى ، وهو عضو فى شركة قانونية يديرها رئيس من النوع التقليدى الذى يتمتع بأسلوب خاص في يوم عيد الشكر ، ويشترك هذا الشاب كل عام فى طقس ذلك اليوم لأن ذلك يعنى كثيرا بالنسبة لمستخدمه .

وفى يوم الاحتفال توضع الديوك الرومية على المائدة ويكون لكل عضو فى الشركة واحداً منها ، ولا يقتصر الأمر على حرية الاختيار ، وكل رجل كان يقف خلف المائدة وعندما يأتى دوره يتقدم ويأخذ نصيبه (الديك الرومي) معبرا عن امتنانه للعمل فى الشركة وشاكرا من أجل الديك فى مناسبة عيد الشكر.

كان ذلك المحامى غير متزوج ويعيش منفرداً ،ولا يستطيع أن يستفيد أبداً من هذا الديك الضخم ، ولا يعرف كيف يتصرف فيه أو يأكله كله ، ولكن كان عليه أن يستلم ديكا فى كل عام.

وفى أحد الأعوام ، قام أصدقاؤه المقربون بتبديل الديك الحقيقى الخاص به الى شكل ديك مصنوع من الورق ووضعوا

داخله الرصاص حتى يبدو وزنه طبيعيا وألصقوا به رقبة ديك حقيقى وذيلاً فظهر كأنه ديك حقيقي.

وفى يوم الاحتفال تجمع الكل فى القاعة ، ولما جاء دوره تقدم ذلك الشاب والتقط ديكه الضخم ، وأعلن امتنانه بالعمل والديك.

وفى مساء ذلك اليوم ركب الاتوبيس عائداً الى منزله ، ووضع الديك على حجره ، وفكر عسى ما يفعل به . وبعد قليل دلف إلى الاتوبيس رجل يبدو عليه التعب وجلس فى المكان الشاغر الوحيد بجوار المحامى الشاب.

بدأ الاثنان يتحدثان معاً عن عطلة ذلك اليوم ، وعلم المحامى أن ذلك الغريب قد قضى يومه بالكامل فى الصيد لكن دون جدوى، وأن له عائلة كبيرة، وكان متحيراً عما سوف يفعل فى العيد القادم.

وهنا طرأت الفكرة فى ذهن المحامى بأن يعطيه ذلك الديك !

ثم فكر ثانية ، لعل ذلك الرجل لم يكن متطفلاً ، وربما يجرح كبرياءه ، ولذلك قرر أن يبيعه الديك . فسأله كم من المال كان معه، فقال له : دولاران إثنان وبضع سنتات قليلة ، وهنا وافق المحامى على البيع ووضع الديك على حجر الرجل الآخر . ورفع الرجل ما كان معه من مال والدموع فى عينيه غير متخيل أن عائلته سوف تتمتع بديك رومى فى يوم عيد الشكر . ثم غادر الرجل والابتسامة على شفاه الإثنين .

ولك أن تتخيل ذلك الرجل عائداً إلى منزله ، معلناً بمجرد دخوله من الباب هكذا : "أيها الأولاد ، سوف لا تصدقون أنى قابلت رجلا لطيفا جداً اليوم ! تعالوا انظروا ما هذا ".

ثم يضع ما بيده على المائدة الرئيسية ، ثم يبدأ فى رفع الورق لكى يجد مجرد كرة زائفة وأوزان من الرصاص ، مع رقبة ديك حقيقى وذيل .

وفى بداية الأسبوع التالى ذهب المحامى كالعادة الى عمله، وكان أصدقاؤه يتوقون لمعرفة ماذا حدث بالنسبة للديك، ولن تتخيل مقدار الغم الذى ألم بهم عندما سمعوا القصة. وقد علمت من صديقى أنهم كانوا يتوجهون إلى الاتوبيس يوميا طيلة ذلك الأسبوع بحثا عن ذلك الرجل لكن عبثاً .

ولا يزال مثل هذا الرجل يعانى من سوء فهم نحو ذلك الشاب الذى باع له ببراءة ديكا وهمياً بنقود قليلة .

وهذا هو سوء الفهم.

تحليل سوء الفهم

لا أظن أن شخصاً يقرأ هذا يحتاج إلى أى تضخيم فى المشاعر، وربما كان لنا مثل ذلك الاختبار بدرجة أو بأخرى . ولكنك إذا توقفت لكى تحلل هذا فإن هناك خطوتين متضمنتين فى سوء الفهم . أولاهما هو عمل أو كلمة أو تطبيق برئ لكنه بسبب سوء فهم ، وما يجعله مؤلما حقاً هو أنك تقول شيئاً أو تفعل شيئاً أو تلمّح بشئ ما ولكن بكل براءة ومع ذلك يُساء تفسيره . وثانيتهما هى الإهانة التى تعتبر نتيجة لما حدث .

كان هناك تاجر فى مدينتنا وقد أساء فهمى أنا وزوجتى من مدة ليست بطويلة . وقد ذهبنا إليه لشراء مغسلة أطباق جديدة ، ووجدنا واحدة اعتقدنا بأنها مناسبة وبدأنا نفكر فيها ، أما هو فقد

وافق على الاحتفاظ بالشيك حتى نفكر ونقرر ، وقال لنا أنه لا توجد مشكلة كما أنه لا الزام علينا .

ولكن حدث أننا غيرنا رأينا – وقد اعتقدنا أن ذلك حق للعميل– ولذلك عدت إلى المحل وقلت للتاجر إننا قد غيرنا فكرنا ونريد استرداد الشيك . ولكنه قال إنه ليس من المنطق أن يخسر في عمله ، ولذلك لعن ومزق الشيك الى قطع صغيرة وألقى بها على الأرض !

نعم ، لقد أساء فهمي !

ومهما حاولت فقد استمر الوضع في سوء الفهم .

إن مثل هذا الأمر يحدث كثيراً حتى مع المؤمنين . وربما تختبر في محيطك البسيط شيئاً قد نسميه اضطهاداً ، وقد يأتي هذا الاضطهاد من مجرد كلمة بريئة أو عمل أو تلميح ، لا يقصد منه شئ لكنه يُقرأ بطريق الخطأ ومن ثم تنشأ الإهانة.

ونحن لسنا بمفردنا ، وربما يريحك أن هذا هو دائما مقياس عام وسط شعب الله ، كما أنه جزء من عملية النمو ، وأنك لا تنمو بالتمام والكمال بدون حدوث سوء فهم بين الحين والآخر .

الشرح لسوء الفهم

دعني أبيّن لك رجلاً من الكتاب المقدس تعرض لسوء الفهم . كان داود قد انتهى لتوه من قتل جليات ، وكان صموئيل قد دهن رأسه بالمسحة المقدسة معلناً لبيت يسى أن داود سوف يكون ملكاً ، ولكن لكي يتعلم كيف يصبح ملكاً كان يجب أن يتعلم كيف يتحمل سوء الفهم.

كان شاول الملك آنذاك رجلاً مهدداً وغير مؤتمن ، ولو أنك اشتغلت مع رجل نظير شاول لا ستطعت أن تفهم ما واجهه داود ، وكانت أقل إثارة تخلق شعورا عارما بالضياع لدى شاول.

لقد رجع داود مع شاول بعد قتل جليات، وانتهت الحرب مع فلسطين ، ولما دخلا المدينة ترنمت النساء وهتفن ترنيمة الانتصار وقلن : "ضرب شاول ألوفه وداود ربواته "(١صم ١٨ :٧).

وبالطبع لم يهتم شاول بالفرق في الأعداد (أى تسعة آلاف) بل لأن داود حصل على شرف كان يريده شاول لنفسه مما دفعه إلى سوء الفهم بأن ذلك " الصغير التافه " الذى قتل الجبار ببراءة من أجل خدمة الرب ، سوف يأخذ مكانه هو ، ولذلك غضب شاول جداً وساء ذلك في عينيه وقال : "أعطين داود ربوات وأما أنا فأعطينني الألوف، وبعد فقط تبقى له المملكة ! " (١صم ١٨ : ٨).

ولنلاحظ تضخيم الأمر ، فلم يكن داود يتطلع إلى المملكة ، ولئن قتل ذلك العملاق لكن ذلك لا يحدث كل يوم، ثم إنه كان لا يزال رجل شاول بل رجل الموسيقا الشخصى له ، ولم يسع للعرش بل كان تعييناً من الله . ولكن شاول كان يتطلع حينئذ لا إلى شجاعة داود فحسب بل أيضا إلى شعبيته ولذلك أساء فهمه " وكان شاول يعاين داود من ذلك اليوم فصاعداً " – أى نظر إليه فى شك –(١صم ١٨ : ٩) .

وهكذا كان العمل البرئ الشجاع قد تم تفسيره خطأ فى قلب شاول حتى أنه اقتنع بأن داود يحاول الحصول على العرش.

الفهم الصحيح لسوء الفهم

يعتقد معظم دارسو العهد القديم بأن مزمور ١٤٠ قد كتبه داود نتيجة الأحداث التى دار الحوار حولها حتى الآن . وعندما تقرأ هذا

المزمور سوف تتحقق من صحة ذلك وأن داود كان في الموقف ذاته إذ كان شاول المجنون يريد اصطياده ، وسوء الفهم يجعل المرء في قلق دائم ، ولكن أن يساء فهمه بواسطة شاول فهذا شقاء!

هناك مفهوم نستطيع أن نقترب منه لادراك كيفية عمل سوء الفهم وكيف يتقدم ، لأننا نرى في مزمور (١٤٠) شكلا للتطور يعطينا حكمة نحن في حاجة للارتكاز عليها عندما يساء فهمنا في ما بعد.

أولا هناك شعور "**بإمكانية السقوط**" بين الاعداء، لذلك يقول في العدد الأول : " أنقذني يارب .. (ثم) احفظني " ، ويكرر كلمة " احفظني" في العدد الرابع . والشخص المعرض للسقوط أو للجرح فإن ذلك يعني أنه بلا حماية وبلا دفاع ، وهذا هو التعبير الأول عن هذه المأساة . وعندما تسقط في سوء الفهم فكأنك بلا حراسة وقد تتعثر دون انتباه .

ثم يلي ذلك الخطوة التالية ، وهي "**المبالغة**" . وعندما يسيء الناس فهمك فإنهم يضيفون ويبالغون بما في أذهانهم نحوك ، وتصبح تخيلاتهم شريرة .

ولنتأمل كيف تأثر أعداء داود بالمبالغة :" الذين يتفكرون بشرور في قلوبهم اليوم كله يجتمعون للقتال " (مز ١٤٠ : ٢) . وهذا حقيقي.

وعندما تصبح أنت موضوع سوء الفهم ، فإنك سوف ترى أن الشخص الذي يبدأ بأقل قدر من سوء الفهم سوف يفسح المجال تدريجيا لتصديق كل الأكاذيب من جهتك .

ولتفكر في الزوج الغيور الذي ربما يسمح ولو للحظة بمثل هذا الفكر عن زوجته " إني غير متأكد من إخلاصها" . وربما قالت

إنها سوف تعود للمنزل فى وقت محدد ، ولكنها تتأخر بمقدار ساعة أو أكثر، وعندئذ يسألها الزوج "أين كنت ؟" فتقدم له أسباباً واقعية ، لكنه لايصدقها لأنه شكاك .

وهذا يشعل تخيلاته ويجعله يستمر فى سؤالاته بدون داع لها .

ولعلك لا تصدق ذلك، لكنى اعرف حالة قد وصلت فعلاً إلى ذلك الموقف ، وقام الرجل فى اليوم التالى بمراقبة عداد المسافات للسيارة لكى يستدل منه على المسافة التى قادت بها السيارة . وعند عودته للمنزل كان يبادر زوجته بهذا السؤال:

- كيف حالك يا عزيزتى ؟
- لا بأس.
- أين ذهبت هذا اليوم ؟
- ذهبت إلى المحل ...
- أين هو ذلك المحل ؟
- هناك فى ...
- وهل ذهبت إلى مكان آخر ؟
- كلا .
- كيف ذلك ، وعداد السيارة يقرأ أكثر من المسافة المفروضة؟

إن هذا الرجل كان يتخيل المسافة من خلال سوء الفهم ، وهكذا تفكر العقول الساقطة لاسيما عندما نختار سوء الفهم ، ومن ثم نشعل نار المبالغة .

ولابد أنك سوف تفهمنى جيداً إذا كنت ممن أسئ فهمهم ، والأمر يزداد سوءا مع مرور الوقت ، وهذا جزء من وصمة سوء الفهم.

ثم تأتى **الخطوة الثالثة** فى مز ١٤٠ : "سنوا ألسنتهم كحية حمة الأفعوان تحت شفاههم " (٣) . أى أن الناس لا يكتفون بالاحتفاظ بسوء الفهم فى قلوبهم بل يشاركون به ويتكلمون عنه، ويزرعونه فى عقول الآخرين ولذلك يقولون : " لم نكن نعرف ذلك، وربما يكون ذلك معقولا، ألم تعرف أيضا ما قد سمعته ؟ "، وكأنهم يريدون أن يجعلوا الأمر مستساغا أكثر لذلك يضيفون شيئا هنا وآخر هناك حتى تصبح هناك قصة معقولة ، وسوف يعشقون مثل هذه القصص.

ولكنك فى الوقت ذاته تجلس منفردا فى المنزل لا تصلى ولكنك تفكر : " يارب ، ماذا يقولون أيضا ؟" وأنت تخبط بيديك وربما تقضم أظافرك غيظا .

والآن لعلك تعلم لماذا قال القديس يعقوب أن اللسان عضو يحكمنا ، وقال داود : "حمة – سم – الأفعوان تحت شفاههم ".

لقد قرأت حديثاً أنه لا يوجد لسان يتحرك أسرع من لسان الحية ، وأحيانا يدعونه "باللسان المثلث" لأنه هكذا يتحرك بسرعة حتى يبدو أنه ثلاثة ألسنة فى وقت واحد.

وليتك تلاحظ أن العضلة الوحيدة التى تحتاجها لكى تحطم بها كرامة أى شخص آخر هى تلك المختفية داخل فمك ، وإنك تستطيع أن تحطم حياة بأكملها بواسطة لسانك.

قرأت عن حالة سيدة انتحرت وكتبت فى مذكرتها هذه الكلمات فقط : " لقد قالوا .. " ولم تكمل ، ولكن فقط بسبب " أنهم قالوا .. " فقد قتلوها بكلامهم قبل أن تقتل هى نفسها .

التغلب على سوء الفهم

ربما تقول : " ماذا أفعل عندما يحدث ذلك ؟".

هذا ما فعله داود : "قلت للرب أنت إلهي" (مز ١٤٠ : ٦) . ولنلاحظ أنه " قال "للرب ، ولذلك فإنى أقترح عليك أن " تقول" ذلك

لا أن "تفكر" فيه فقط، فإننا نحتاج أن نعلن ولاءنا لله الحى . وهناك أوقات أعلن فيها بصوت مرتفع : "يارب أنت إلهى ،أنا أتكل عليك الآن " ، وهذا ما فعله داود بالضبط.

أتذكر أثناء نموى أننى كنت أرغب تماماً أن أصبح لاعب كرة محترفاً ، وكانت لى خطط لذلك. ولقد صرت الآن إنساناً كبيراً ولكن ليس بالضخامة التى تصورتها عن نفسى ، ومن ثم تعلمت أن أدع الله يحارب عنى معاركى ، وهناك مرات أطلب من الله أن يتعامل مع شخص ما لأنى لا أستطيع ذلك لكنه هو يستطيع!

نعم ، إنه يستطيع ، ويفعل ذلك. وهكذا يكون لنا الحق عندما يحاصرنا الأعداء أن نقول لهم : أنتبهوا وإلا فإنى سوف أخبر الله عنكم ! ، كما قال القائد موسى مشجعاً لشعبه : "الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " (خر ١٤: ١٤).

كتب داود : "لا تعط يارب شهوات الشرير ، لا تنجح مقاصده (لئلا) يترفعون " (مز ١٤٠ : ٨) .

وإن لم يكن ذلك كافياً ، فانظر كيف دعا داود الرب لفناء أعدائه هكذا:"أما رؤوس المحيطين بى فشقاء شفاههم يغطيهم . ليسقط عليهم جمر ، ليسقطوا فى النار ، وفى غمرات فلا يقوموا (أى فى حفر عميقة) " (٩،١٠).

إننا "تنمو" من خلال سوء الفهم لأننا عندئذ نرى الله أنه يدافع عنا ، ونرقد مطمئنين فى الليل عالمين أن الله يهتم بالموقف بالرغم من أن لسان المشتكى علينا لا يزال يتحرك بالقيل والقال.

وإن كان لك صديق فى المدرسة يسبب لك حزناً ، تعال واخبر الله عنه. وإن كان هناك شخص معك فى العمل لا تستطيع التعامل معه ، فهذا هو سبب وجود مخلص ومحرر لك ، فأنت قد

ولدت فى " عائلة " الله ، ولذلك لا ترضــى أن تعيش مثـل اليتيـم ، فتعال بكل سوء فهم إلى حضرة الله .

فـى الصيف الماضى مررت أنـا وزوجتـى بأصعب أوقـات حياتنا ألماً ، وبالرغم من أننا فعلنـا الصـواب لكـن حـدث خطـأ فـى التفسير وأفترى علينا ، ومما زاد من ألمنا ، الانتقاد الظالم لنـا وقـد دفعنا ذلك إلى البكاء منحنين على ركبنا . وهنا تذكـرت مقولـة عـن أحدهم هكذا:

"إن الله يهمس إلينا فى مسراتنا ، ويتكلم إلينــا فـى ضمائرنـا ، ولكنه يصيح فى آلامنا ، وهذا هو صوته العـالى لكـى يوقـظ العـالم الأصم ".

وهنـا يجـب أن تصدقنـى بـأن انتباهنـا تركـز نحـو اللـــه لأننــا انسحقنا وتألمنا وما كان علينا إلا الانتظار.

ورغم أن ألم ذلك الأمر قد زال الآن لكن ذاكرته باقيـة ، ولـن ننسى تلك الأيام المؤلمة ، ولكن شيئا جميلاً قد حـدث فـى حياتنـا إذ أصحبنا أكثر حساسية نحو الآخرين ، وأصبحنا مسـتعدين أن نضـع نفوسنا فى خدمة الآخرين.

الفصل الثالث

الضغط

(تهديد عاصفة القلق)

تحليل الضغط

ما أغرب الخلائق البشرية! إننا نسرع عندما نفقد سبيلنا ،وبدلاً من التوقف لكى نجتمع ثانية فإننا نرتد من مكان إلى آخر . وهناك ثلاث كلمات نصف بها أوقاتنا وهى : السرعة ، والاهتمام , والنسيان .

وفى هذه الحياة عندما توضع علينا متطلبات الزمن الضاغطة نكون فى حاجة إلى التوقف والوعى كما نحتاج أن نكتشف أن الرب هوالله وأنه سوف يتعظم وأنه معنا وهو حصننا.

وربما تذكر أثناء سنوات نموك أن والدتك كانت تضع علامات على الحائط بالقلم الرصاص حتى تعلم المدى الذى وصلت إليه رأسك وأنت تنمو من عام إلى عام . ومن المثير أن ترى أن الأولاد هكذا ينمون بسرعة فى بعض الأوقات.

إن الله يستخدم وسائل لا حصر لها لمساعدتنا فى عملية النمو، ولا أعرف وسيلة واحدة تؤدى إلى نمو فورى ، كما أنى لم أقابل قط واحداً قد تم نضوجه فوراً ، ولكنها عملية قد تتطلب عناءً ويدعنا الله نجتاز فيها ، وهى تتضمن أموراً مثل الانتظار والسقوط والفقدان وسوء الفهم ، وكل من هذه الأمور يدعونا إلى جرعات إضافية من المثابرة أو الصبر.

ولكن أين علامات نموك الروحى على حائط حياتك؟ وأين أنت الآن فى ضوءِ العام الماضى ؟ أو ماذا عن العقد (عشر سنوات) الأخير من حياتك.

وحدات قياس ضغط الحياة

قام الدكتور توماس هولمز مع زملائه فى جامعة واشنجتون ببحث قدير فى مجال الضغط البشرى وقاسوا ذلك بلغة " وحدات تغيير الحياة " ، وعلى حسب مقياسهم وضعوا ١٠٠ درجة أو وحدة لموت أحد الزوجين ، والطلاق كان نصيبه ٧٣ وحدة ، والحمل أربعين وحدة ، وتجديد المنزل ٢٥ وحدة ، ويوم عيد الميلاد (الكريسماس) ١٢ وحدة (ولا نندهش من هذا).

وأما استنتاجهم فكان من وجهة النظر البشرية فقط هو أنه لا يوجد شخص يستطيع أن يتحمل بقوته الذاتية ٣٠٠ وحدة أو أكثر فى مدى إثنى عشر شهراً دون أن يعانى جسدياً أو عاطفياً فى خلال سنتين قادمتين .

إننا نواجه دائماً مواقف تنتج ضغطاً ، مثل موت صديق ، طلاق فى العائلة ، فقدان لوظيفة ، ألم بسبب مرض أحد الأطفال ، أخبار من أحد الأطباء بأن هناك شيئاً ما فى صورة الأشعة !

لقد تلقيت خطاباً من صديق قريب منى ليس من مدة طويلة ، وقد تأثرت وأنا أقرأ كلمات الخطاب المتعثرة ، وقد حدث ضغط ما مما أثر على حال الأسرة بأكملها . لقد ذهبت زوجة صديقى إلى الطبيب للفحص السنوى ، وهناك اكتشف الطبيب ورماً فى الصدر وقد انتشر إلى الغدد الليمفاوية مما يرجح كونه سرطاناً خبيثاً .

مزمور المنسحقين (٤٦):

لقد ولد هذا المزمور فى مجال الشدة القاسية ، وهو بلسان للمتضايقين ، وليتك تقرأ المزمور كله الآن .

أما بالنسبة لى ، فالموضوع فى العدد الأول منه ، وهو يعنى بلغتنا العصرية أن الله هو معيننا الفورى لاسيما ونحن فى ضيق

شديد . وكلمة ضيق فى الأصل العبرى تعنى التحديد أو الربط فى مكان ضيق ومحدود ، وكأن كاتب المزمور كان فى مثل هذا المكان بالضبط عندما كتب ذلك.

ويحدث الضغط عندما يجد الإنسان نفسه محصوراً بين شيئين قاسيين ، وهنا تأتى رسالة هذا المزمور إلينا على أن الله هو الملجأ والقوة ، وهذا هو موضوع العنوان . فعندما تكون مضغوطاً وتنوء بالحمل ، وعندما تنحنى إلى أسفل ويظهر مقدار ضعفك ، فعندئذ يقيم الله لك خيمة ملجأ لكى يحميك وهو يحيطك بعنايته الحارسة وقوته .

ودعنا نتطلع إلى النظرة العامة للمزمور ، وتظهر لنا ثلاثة مواقف وكلها يمكن حدوثها لنا .

الموقف الأول يمكن أن نسميه ثوران الطبيعة (١ – ٣) : عندما تحدث ظاهرة طبيعية مهددة فإنها تؤدى إلى ضغط . ولكن ما هو رد الفعل ؟ يقول العدد الثانى (بلغة المفرد) "لذلك لا أخشي"، فإن كان الضغط بسبب ثوران أو جيشان الطبيعة ، لكن رد الفعل هو "الثبات" .

والموقف الثانى هو اضطراب مدنى (٤ –٧) وتكون المدينة معرضة للهجوم ، لكن ما هو رد الفعل ؟ " الله فى وسطها فلن تتزعزع".

والموقف الثالث أستطيع أن أدعوه بتعب ما بعد المعركة (مز ١٤٠ : ٨ – ١١) ، أما رد الفعل فإنك تراه فى العدد العاشر : "كفوا (عن الصراع) وأعلموا أنى أنا الله " ولذلك " سوف لا أتصارع " .

هناك الظواهر الطبيعية التى قد تحدث وتسبب الخوف والتهديد، ولكنى سوف "لا أخاف " ، وهناك المدينة التى يتم الهجوم

عليها ، ولكنى " لا أتزعزع" ، وهناك قد يلى هذه الاختبارات المؤلمة ويحل بنا التعب أو الاكتئاب ، ولكنى سوف " لا أتصارع " (أو لا أقاوم)، ولكن لماذا؟ لأن " الله لنا ملجأ وقوة عونا فى الضيقات (أى العون الحاضر وقت الضيق) " (١).

التغلب على الخوف

دعنا نلقى نظرة قريبة على هذه المواقف الضاغطة ومنها الظواهر الطبيعية ولكننا :" لا نخشى ولو تزحزحت الأرض ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار، تعج وتجيش (تزأر وتزبد) مياهها ، تتزعزع الجبال بطموها".

إننا نعلم – لا سيما فى أمريكا – كيف تجف التلال وتزحف النيران . وكنت أتحدث قريباً إلى سكان عديدين من " سانتا باربارا " (فى غرب أمريكا) كانوا قد نجوا من حريق مدمر هناك ، وقد أخبرونى بقصص لا تصدق، وهذه النيران يمكنها أن تزحف فى واد ضيق بسرعة قد تصل إلى ثلاثين أو أربعين أو خمسين ميلاً فى الساعة.

كانت هناك عائلة لها حمام سباحة ، وكانت الفتيات الصغيرات يسبحن فيه ، وما أن شاهدن النار تزحف من أعلى الوادى خرجن بسرعة من الحمام لكن النار لحقت بهم لأنها كانت أسرع .

وعائلة أخرى كانت لها أشياء ثمينة لكنها كلها ضاعت وانحسرت فى لحظة.

وعندما أدرك أحدهم أن النار قادمة ، أراد أن يكتب قائمة بالأشياء التى لا يريد أن ينساها ، لكن النار أتت بسرعة فائقه وكان الشئ الوحيد الذى تم انقاذه هو " القائمة" فقط التى كتبها !

بيد أن صاحب المزمور يقول إنه حتى لو تغيرت الأرض ، واهتزت الجبال ، وزأرت النار ، فإن الله يعبر بنا فوق المياه المضطربة.

لكن هل هو كذلك حقاً بالنسبة لنا؟ هل هو قريب منا ؟ إننا نحتاج أن نفحص نفوسنا بكل أمانة لكى نرى مكان الله فينا ، سواء الآن أو عندما تحل بنا الضربات.

وإليك نماذج من مواعيد الكتاب المقدس كما يلى :

- "لا تخف لأنى معك . لا تتلفت لأنى إلهك " (إش ٤١ : ١٠)
- " لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح " (٢تي ١ : ٧)
- " تشدد وتشجع " (يش ١ : ٩)
- " الرب نورى وخلاصى ممن أخاف الرب حصن حياتى ممن أرتعب "(مز ٢٧:١)
- " أبى وأمى قد تركانى والرب يضمنى " (مز ٢٧ : ١٠)

إن الله يدعونا أن نستريح فى حضنه وقت أقصى هجمات الضيق علينا .

الوقوف بثبات

نأتى الآن إلى الجزء من مزمور ٤٦ الذى يتحدث عن المدينة التى تعيش فيها . وهنا تقوم الأمم والممالك ضد المدينة ، ولكن العدد الخامس يقول : " الله فى وسطها فلن تتزعزع".

قال الراحل : " إلفيز بريسلى " - وكان من أكبر أغنياء أمريكا- قبل موته أنه كان مستعداً أن يدفع مليون دولار فى سبيل الحصول على أسبوع واحد يتمتع فيه بالسلام فى حياة عادية وحتى يمكنه التحرك فى شوارع مدينته وفى كل اتجاه بدون مضايقة .

والحقيقة أن هذا الرجل الغنى كان تجسيداً للضغط، وقد اكتشف هو نفسه أن المال لا يقلل من الضيق ، وقد مات مبكراً – وكان مغنياً– فى الثانية والأربعين من عمره ،وكان فى جنازته أكثر من خمسة أطنان من الزهور ، كما حضرها أناس طاروا ليلة بعد أخرى حتى يصلوا إلى ممفيس مكان الجنازة ! إن هذا الإنسان عاش حياة كلها اضطراب !

لكن المرنم يقول : "عندما تكون المدينة محاصرة أو تحت التهديد فإنى لن أتزعزع ولن أهتز لأن إله الرجاء معنا" وهو أيضا فينا .

التوقف عن الصراع:

إذا نظرنا إلى الجزء الثالث من مزمور ٤٦ حيث يصف الاكتئاب الشديد الذى يصاحب عادة ما يحدث بعد الموت ، والله يقول هنا : " كفوا – عن الصراع – واعلموا أنى أنا الله " ، والكلمة الأصلية العبرية المترجمة "كفوا" تعنى " استريحوا أو استرخوا". والمقصود هو أننا لن نكتشف مقدار حماية قوة الله فوقنا طالما أننا مسرعون ، وحينئذ ينتصر الضيق.

ولذلك لابد من الهدوء والتوقف والتفكير .

متى كانت آخر مرة جلست فيها حول مائدة العشاء مسترخياً وطالباً لشئ من الفكاهة؟ ومتى تمشيت قليلاً بين الحدائق ، أو ركبت دراجة ، أو فعلت شيئاً ما بيديك ، أو متى أخذت راحة تامة فى أجازة نهاية الأسبوع ، أو تمتعت هكذا بالحياة حتى أنك لم تكف عن الابتسامة ؟ ... ولا عجب إذن أنك تحت ضغط ما !

ضيقى ... أمامه قوة الله

دعنى أضع أمامك ثلاثة أفكار بخصوص هذا الأمر أى قوة الله من خلال الضيق ، كما نجدها فى مزمور ٤٦.

أولاً : إن قوته ممكنة فورا ، وإن تجاربنا ليست سطحية أو ليست لها قيمة ، ولكنها أدوات للنعمة يستخدمها الله فى نمونا .

لقد قرأت عن رجل ذهب إلى طبيبه يشكو من صداع مستمر فسأله الطبيب إذا كان يدخن من عدمه . فقال : نعم إنى أدخن.

- حسنا ، عليك أن تتوقف عن التدخين.

وأقلع عن التدخين ، لكن الصداع استمر ، فعاد إلى الطبيب الذى سأله :

- هل تشرب كحوليات ؟

- نعم.

- لابد أن تقلع عن ذلك.

وتوقف عن الشرب ، لكن الصداع استمر، وكان الألم يضرب رأسه كل يوم .

وأخيرا اكتشف أنه يرتدى ياقة ضيقة على رقبته ، وكانت هى سبب الصداع الدائم.

إن المشاكل السطحية تستدعى حلولاً سطحية ، إلا أن الحياة الحقيقية ليست كذلك ، لأن صراعها وضغوطها أعمق من ذلك وقد تصل إلى العظم ، بل إنها تلمس مشاعر الأمان فينا . لكن الله يقول إنه " عون " موجود لنا وقت الضيق ، وهو متواجد فى الحال. وهل تتأكد أنك تستطيع أن تدعوه وهو سوف يجيبك أينما تذهب وفى أى وقت تدعو ؟ ولن يطلب منك أبداً تحديد موعد معين ، كما أنه لا يتركك فى حالة " انتظار" ، بل يقول لك إنى سوف أعينك الآن ، لأنه " عون – حاضر – فى الضيقات".

والأمر الثانى الذى ألاحظه فى هذا المزمور عن قوة الله هو أنها قوة غالبة ، وهى مثل الخيمة التى يمكن أن تمتد فوق أى ضيق بل هى كأنها مفصلة لذلك خصيصاً ، ولا شئ أكبر من قوة الله ، أليس ذلك جميلاً؟!

وبالاضافة إلى ذلك، فإن قوته لاتعتمد على مساعدتنا نحن ، ولا تنسى أنك ضعيف ، وهل شعرت بهذا الضعف مؤخراً ؟ ربما.. وهل وصلت وحدات الضغط فى حياتك إلى ٣٠٠أو أكثر ؟ وإن كان كذلك فإن الله مستعد للمساعدة.

حدثت عاصفة ثلجية عنيفة فى انجلترا فى شتاء عام ١٩٦٦ وكنا نعيش هناك أنا وزوجتى وإبنانا الكبيران ، ولقد توجهنا لمهمة خاصة مساء أحد الأيام ، وكنا حديثى العهد بالعواصف ولم نعبأ كثيرا بتقرير الأحوال الجوية، ولكننا ذهبنا وتركنا السيارة وكان منظر الانزلاق على الجليد خلابا لنا ، لكننا سرعان ما أدركنا معنى تصديق تقرير الأرصاد الجوية، وأن الثلج صار إرتفاعه حوالى أربعة اقدام !

حملنا طفلينا وأكدنا لهما أن كل شئ سوف يكون على ما يرام، لكننا كنا نحاول جاهدين الوصول إلى سيارتنا، وبسبب الثلج المتراكم لم نتعرف عليها بسهولة ، وبدأ الثلج والصقيع يدخل إلى أجسامنا ، وفى النهاية وصلنا إلى سيارتنا ، وحاولت جاهداً أن أفتح باب السيارة ولم أستطع لأن كل شئ كان قد تجمد من البرد . وأخيراً انفتح الباب ودلف الأولاد إلى المقعد الخلفى ، وهنا صاح واحد منهما وقال : " كم أحبكما يا بابا ويا ماما، إنى أشكركما جداً". وقد كان لهذه الكلمات فعل الدفء فى جسدى وهو كل ما كنت أحتاج إليه فى ذلك الحين.

وهذا هو كل ما يطلبه منا الله الآب ، لأننا لا نستطيع من أنفسنا أن نجتاز العواصف فهى أكبر منا . ولكن متى ندرك أن العواصف فى حياتنا هى بسماح من الله ؟ إن هذه العواصف المهددة لنا هى من أجل اتضاعنا ولكى تجعلنا نتسلق على ذراعيه ومن ثم نعتمد عليه هو.

وربما أتى الوقت المناسب لكى تقول هكذا :

"يارب إنى أحبك وأشكرك ، وإنى لا أتزعزع لأن قوتك لى ، وسوف أكف عن الركض والصراع ، ولن أخاف بل سوف أتمسك بك وأعتمد عليك حتى تبسط خيمتك على وتحمينى من العاصفة . بل إنى أشكرك لأنه فى محبتك سمحت لى بعاصفة الضيق، كما أشكرك بالرغم من أنى لا أستطيع أن أرى الهدف أو المسافة لكنى أعترف بضعفى وأحتاج إلى قوتك أنت ".

الفصل الرابع

الخسارة

(أوقات الوحدة والأزمة)

بينما أكتب هذه الكلمات ، اشتعلت نار هائلة في أحد الوديان على مسافة ثلاثين ميلاً من بيتنا ، وظهر على الشاشة الصغيرة رجلان وقد وقفا صامتين لأن منزلهما الذى يبلغ ثمنه ربع مليون دولار قد تحول إلى دخان ، بعدما قضيا أحد عشر عاماً فى بناء هذا "الحلم" ولكن كل شئ قد تحول إلى كومة من الرماد فى أقل من ثلاثين دقيقة.

وهناك ولايات متعددة فى أمريكا قد عانت قريبا من إعصار مدمر ، وقدرت الخسائر بملايين الدولارات ، وربما بنصف مليار دولار.

وقبل عودتى إلى المنزل هذا المساء ، كنت قد قضيت ساعة مع سيدة توفى زوجها أمس فقط .

وبعد ظهر نفس اليوم دخل أحد أعضاء كنيستنا إحدى المستشفيات المحلية وربما يفقد ذراعه بسبب السرطان.

وربما من السهل أن نفقد الأمور التى يريد الله أن يعلمنا اياها لأننا لا نستطيع أن نتصور بأن الله مشترك معنا فى الحزن أو الفشل أو الوجع بسبب فقدان شخص أو شئ عزيز علينا . لكن بعض طرق إنقاذه لنا تأتى من الأبواب الخلفية لحياتنا ، ولأنها غير متوقعة لذلك يسهل علينا أن نفقدها .

وإذا تكلمنا بصفة عامة فإن الخسارة تندرج تحت مجموعتين :

خسارة الأشخاص المحبوبين

لي صديق فقد بلا توقع ثلاثة من أبنائه، إثنان منهما كانا في سن المراهقة ، وقد كتب في مابعد كتاباً بعنوان " نظرة من النعش " تحدث فيه عن فقدان الناس المهمين ، وكان كالعاصفة!

ولما احتملت الصديقة العزيزة "جوسي لاندورف" ألم فقدان والدتها الغالية، إشتركت معنا في عمق آلامها بكتاب تحت عنوان " ترنيمة الصباح" ، وكان من أفضل كتبها.

ولكن ربما أنك لا تملك موهبة القدرة على التعبير عن خسارتك بطلاقة ، وربما من تفقده يكون قريبا لك أو صديقا مقربا أو شريكا في العمل وأنت تجتاز في المحنة بمفردك ، وربما يكون فقدانك لهذا الشخص إما بسبب الموت أو بعد المسافة ، وبعد ما كنت تتمتع بصداقته وشركته فإنك تفقده فجأة سواء بالموت أو بالبعد عنك وفي كلتا الحالتين لم يعد قريبا منك ولم يعد تحت بصرك.

وهذا نوع من الفقدان يصعب احتماله ، ولكن هل أخذت في الاعتبار رسالة الله عندما تفقد من تحبهم ؟

خسارة الأشياء المحبوبة

المجموعة الثانية هي خسارة الضروريات الشخصية أو الفوائد، مثل فقد عمل أو رغبة أو هدف أو حلم في الحياة (وكلنا لنا مثل هذه الأحلام أو هكذا ينبغي لأنه ما معنى الحياة بدون أحلام ؟). وعندما تحدث الخسارة فإنك تكتشف فجأة أنك لن تحقق حلم قلبك.

أيوب : الرجل الذى فقد كل شئ

سوف نلقى النظر فى هذا الفصل على القصة المألوفة والمؤلمة عن أيوب الذى فقد الأشخاص والأشياء معاً. ومن السهل أن ننبهر ونخلد ذلك الرجل المعروف بصبره - بحسب القديس يعقوب "صبر أيوب" - لكنى أريدك معى أن تشعر معه بصدمات خساراته المتوالية .

ولا تنس أن الكتاب المقدس هو كتاب " الحقيقة " ، وهذا ما جذبنى إليه منذ سنوات عديدة ، فهو لا يفتن بالقديسين بل يقول الحقيقة عنهم ويصورهم كما هم . وعندما يتصرفون كرجال الله فإنه يعلنهم بهذه الكيفية ، وعندما يسقطون فإنه يكشف ذلك ولا يخفيه .

ولعلك تلاحظ قائمة ممتلكات أيوب الروحية والمادية. وأول كل شئ كان تقياً ، ويقول الكتاب إنه كان "كاملاً ومستقيماً يتقى الله ويحيد عن الشر " (أى ١:١) . ولا يمكن الحصول على ما هو أفضل من ذلك ! فقد كان رجل الله الصادق والمحترم جداً.

وثانيا ، كانت له عائلة كبيرة ، وقد ولد له سبعة بنين وثلاث بنات أى عشرة أبناء ، وهذه بلاشك "جعبة" ممتلئة تماماً (مز ١٢٧: ٣ - ٥) .

وثالثاً ، كانت له ممتلكات وفيرة ، تشمل سبعة آلاف من الغنم، وثلاثة آلاف من الجمال ، وخمس مائة فدان بقر ، وخمس مائة أتان، وخدام كثيرون .

ورابعاً كان له مركز عظيم ، ويقول الكتاب عنه أنه كان "أعظم كل بنى المشرق " ، وكانت له شعبية ناجحة ، وعرفه كل

الناس . ويعتقد غالبية دارسي الكتاب أنه عاش في أيام البطاركة وكان معاصرا لإبراهيم ، وكان ذا اسم مشهور.

وما أريدك أن تفهمه هو أنه بحسب أسلوبنا البشري لم يكن أيوب مستحقا للخسارات التي عاني منها ، وأن الخسارات لا تأتي بسبب الخطأ . وهناك بعض من أناس الله الذين عانوا كثيراً لا يستحقون ذلك من وجهة النظر البشرية ، وهؤلاء الناس هم الذين أريد الحديث عنهم.

الواقع أن أيوب كان تقيا ، وكانت له عائلة طيبة وأهتم بهم جدا، واستمر يصلي من أجل أبنائه حتى بعدما كبروا ، وكان لكل واحد منهم منزله الخاص ، ومعنى ذلك أنه تقدم في العمر .ولكن الكتاب لم يذكر شيئاً عن صحته أو عمره أو عمله ، بل شرح فقط عن رجل مرتاح جداً وناجح ومطمئن .

وربما عندما يقرأ البعض هذه الكلمات يقول : " ومن لا يرغب في السير مع الله طالما أن الحياة بمثل هذا الأسلوب ؟ بمعنى من ذا الذي لا يرغب في الوقوف مع الله عندما يتوفر له هذا الأمان حوله؟"

وهذا هو بالضبط المدخل الذي دخل منه الشيطان إلى الرب : "اليس أنك سيجت حوله .. مس كل ماله فإنه في وجهك يجدف" (أي١ : ١٠ ، ١١).

ثم تتوالى أحداث القصة ولعلك تمعن النظر فيها ، وتتأمل سرعة الصدمة تلو الأخرى ، بينما كان أيوب هكذا آمناً ومستريحاً ومطمئناً ، وبينما كان يذكر أبناءه وبناته أمام الله في الصلاة فقد مات الواحد بعد الآخر دون سابق إنذار وفقد أبناءه العشرة البالغين.

وكيف استجاب لذلك ؟ لقد بدأ بالقول : "عرياناً..." اليس ذلك مثيرا ؟ لقد أصبحت صورة أيوب هي صورة الاعتماد التام إذ

أصبح خالى اليدين ولا شئ فى ذاته ، محلوق الرأس وممزق الثياب ومعتمداً على غيره . ثم يعبد الرب ويقول :"عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك، الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً " (أى ١ : ٢١) .

إنه لم يشوّح بيديه نحو السماء ويقسم على الله ، بل صلى ، كما أنه لم يقع فريسة للإحباط والفشل وصار يئن قائلا "لماذا أنا ؟"، بل بالعكس سجد للرب.

وربما يكون مغرياً لنا إذا قلنا إننا لسنا مثل ذلك الرجل القوى "فوق العادة " – سوبر مان – وأنه ليس من عالمنا.

إلا أن أيوب لم يكن من ذلك النوع الخاص ، بل كان بكل بساطة رجل الله ، وقد ارتبط أسلوب حياته بالرب بطريقة جميلة ولذلك لم ينزلق .

وهل حزن ؟ إن استقامة المكتوب تخبرنا أنه قد تأسف.

هل كان واقعياً ؟ نعم بكل معنى الكلمة ، لكنه لم يوجه لوماً إلى الله ولم يخطئ . ولكن ذلك يخبرنى بأنه يمكن حدوثه ، كما يخبرنى أيها الأباء والأمهات بأنه من خلال قوة الله يمكنكم أن تستمدوا ثقة غالية فى الرب يسوع المسيح لاسيما عندما تحدث أية مصيبة ويارجال الأعمال والطلبة أقول لكم : عندما ترون حلمكم يموت وتظنون أن تلك هى النهاية أو عندما يصل الحب إلى حافة الهاوية، فهناك يقول الله إنه لا يزال موجوداً ويجب أن تتذكروه. ومثل هذه الأوقات هى التى تدفعنا إلى المنطق والترويض والنضوج، وكأن الخسارات هى التى تضع المعدن الذى لا يصدأ فى عجلات حياتنا الهشة .

علق أحد أعضاء هيئة الرعاية معنا بهذا الكلام الهام وقال : "كانت الصعوبة مع الشخص الذى كان يستشيرنى هو أنه لم يعلن حقاً خسارة شديدة ، ولكن أسلوبه فى الحياة كان فاسداً" ، وهو ما يحدث بكل سهولة .

ولذلك لم يخطئ أيوب ولم يوجه لوماً لله . وإذا فكرنا عن سبب منطقى فربما نقول إنه كان على الأقل يتمتع بالصحة . ولكننا نقرأ فى الأصحاح الثانى أن صحته أعتلت (أى ٢ : ٧).

ياله من أمر شنيع!

قال مصدر طبى أن هذا المرض شبيه بالضربة التى ذكرت فى (تث ٢٨ : ٢٧ و ٣٥) ، واليك فكرة عما تحمله أيوب "يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير (الأورام) والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء " ، "يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من أسفل قدمك إلى قمة رأسك " (تث ٢٨ : ٢٧ ، ٣٥).

وقال أحد الأطباء من دارسى العهد القديم ما يلى بخصوص مرض أيوب :

"إن الرأى الطبى الحديث غير متفق عليه بالنسبة لتشخيص مرض أيوب ، لكن مصير المرض كان بلاشك ميؤساً منه فى أيام أيوب . أما الأعراض الرهيبة فكانت تتضمن نتوءات ملتهبة مصحوبة بحكة شديدة (٢ : ٧ ، ٨)، وقروح عارية(٧ : ٥) ، وتآكل فى العظام (٣٠ :١٧)، واسوداد مع سقوط الجلد(٣٠ : ٣٠)، وكوابيس ليلية مزعجة (٧ : ١٤) ، وربما بعض هذه الأعراض

تعود إلى التعرض الطويل منذ بداية المرض. وعلى ما يبدو أن جسد أيوب كله كان مضروباً بأعراض مؤلمة ومتعبة ".

يالها من صورة مأساوية !

لقد تغطى جسده من هامة الرأس إلى أسفل القدم بقروح متقيحة وشديدة الحكة ، وقد جلس هناك فى الرماد يحك جلده بقطع من الخزف أو الفخار .

وعندما تختبر خسارة ما ، فهل تعجبت لماذا يترك الله بعض الأشياء بينما يأخذ أشياء أخرى ؟ وأحيانا ما يتركه الله يبدو غريبا لك . ولعلى أتذكر زوجة أيوب وهى تقول له : "أنت متمسك بعد بكمالك . بارك(العن) الله ومت " (٢ : ٩).

ومن على الأرض يحتاج إلى نصيحة كهذة ؟ قال أحدهم فى كتابه أن من أفضل ما نشترك به لشخص يجتاز فى ألم شديد وخسارة هو حضورنا معه "بدون " كلام ،ولا حتى اقتباس بعض الآيات الكتابية نتلوها على آذان الحزانى ، وقال أيضاً: " لا تحاول أن تثبت شيئا لإنسان حى ، وربما ما تفعله مثل وضع يدك على كتفه ، أو أن تقبض بشدة على يده ، أو تطبع قبلة على خده ، فهذه كلها اثباتات لما يحتاج إليه الحزين وليست أسبابا منطقية تفسر حزنه .

كنت جالساً ممزقا من الحزن ، وأتى أحدهم وتحدث إلىّ عن معاملات الله ولماذا حدث ما حدث ، وعن الرجاء بعد القبر ، واستمر فى الكلام وقال أشياء أعرف أنها حق ، لكننى لم أتحرك وكل ما رغبت فيه هو أنه ينصرف وقد حدث أخيراً . ثم تقدم آخر وجلس بجوارى لكنه لم يتكلم ولم يسألنى أسئلة استدراجية ، لكنه

جلس فقط بجواري لمدة ساعة أو أكثر ، وأصغى لما كنت أقوله أحيانا وأجاب باختصار ثم صلى وتركني . وهنا تحركت وأحسست بالراحة وتضايقت عندما انصرف .

إن الشخص الذى يترنح من صدمة المصيبة يكون قلبه منكسراً، وتكون تربة نفسه غير مستعدة لزرع البذور السماوية ، وربما يحدث ذلك فيما بعد لكن ليس فى التو واللحظة ، كما أنه غير مستعد لكلمة مشورة متطرفة مثل هذه :" بارك الله ومت!".

(لقد ذكرت زوجة أيوب صدفة مرة واحدة أخرى فى هذا السفر كله ، وكان كل ما اشتركت به فى حياة أيوب هى تلك النصيحة فى ٢ : ٩ ، وبعد ذلك فى ١٩ : ١٧ حيث كان تعليق أيوب هكذا : "نكهتي مكروهة عند امرأتي " وهل تصدق ذلك ؟).

دق جرس التليفون فى صباح يوم الاثنين من أسابيع سالفة ، وحاول صديق لنا من الكنيسة أن يتحدث ولكنه لم يستطع وطلب مقابلتى بأسرع ما يمكن واعتذر لأنه يزعجنى فى يوم راحتى لكن الأمر لم يحتمل التأخير .

وبالطبع تركت كل شئ ، وتقابلت معه بعد ثلاثين دقيقة فقط ، وكان متعثرا وباكيا بصوت مسموع وأنا أحتضنه ، ولكنى لم أقل شيئاً بينما كان يتنهد أو يصمت تماماً (وهذا مهم فى عملية المشورة) . لقد عادت زوجته من زيارة الطبيب وبعد فحص دقيق تأكد أنها تعانى من سرطان فى الغدد الليمفاوية وكان من النوع الذى له مصير سئ للغاية حتى لو أنها تحملت مشقة العلاج الكيميائي.

استمر حوالى ساعة يصب فيه ضيقه ومخاوفه واضطرابه . وقد كان الرجل على دراية طيبة بالمكتوب ، وكان مع زوجته

يواظبان بأمانة على حضور خدمة صباح الأحد وكانا يحبان الرب يسوع . لكن لم يكن هناك وقت مناسب لأى مجادلة حتى لو كانت حقيقية ، وكان محتاجاً فقط إلى أذن صاغية . والأغرب من ذلك أنه بعدما صافحنى شكرنى على مشورتى له ، بينما لم أتكلم معه بأكثر من عشر جمل طول الوقت .

عندما يكون لك أصدقاء يسيرون فى الأودية فإنهم سوف يقدرون جداً حقيقة إهتمامك بهم ، وقد يتمثل ذلك فى مجرد حضورك معهم ، أو القيام بعمل له قيمته ، أو بحضن دافئ ، وإن مثل هذه الأمور تظهر محبتك لهم ، وفى الواقع إن مجرد الجلوس بجوارهم ومشاركتهم إنما يساعدهم كثيراً جداً.

هدف الله العظيم

إنى أريدك أن تقرأ ما هو بحسب رأيى من أهم آيات الكتاب المقدس:

'فقال لها تتكلمين كلاماً كإحدث الجاهلات (وتذكر ذلك كلما حدثت كارثة) أألخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل . فى كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه " (٢ : ١٠) .

نعم ، لم يكن أيوب مخلوقاً عظيماً جالساً على حافة السماء يلف بعض الهدايا القلـ ـة فى ورق فضى ويلقى بها من السماء قائلاً: هذا ما سوف يجعلكم سعداء ، وهذا ما سوف يسعدكم . وليس إله السماء هكذا . إن الإله القدير يكشف ويوزع ما يجلب مجداً لذاته ، وهو يأتى إلينا ليس فقط بالأشياء الطيبة بل أيضا بالعكس ، وليس إلهنا العظيم ملزماً بأن يبقينا فى راحة مستمرة.

هل رأيت هذه الحقيقة ؟ هل نقبل الخير (نعم وما أسرعنا فى ذلك) ولا نقبل الشر ؟ وهل أنت مستعد لتقبل الشر ؟ لاشك أن الجسد بحسب النظرة الأفقية سوف نقاوم ذلك وربما نهرب منه ، وقد تنمو فينا روح المرارة ضد الله ونقول.: ما نوع هذا الإله ؟ ولكن بحسب النظرة الروحية ندرك أن الله له الحق أن يأتى بالأمور السارة كما بالأمور غير السارة ، وبدون هذا المفهوم فإنك سوف تعجز عن الصبر فى الضيق ، وربما تنفجر بعيداً!

ولعلك تنتبه أن هدفنا الكبير فى الحياة ليس أن نكون راضين أو سعداء ، بل أن نمجد الله .

إن هدف كل أب لعائلته هو أن يجعلهم سعداء ومسرورين ، وقليلون جداً من الآباء الصالحين هم الذين يهدفون إلى مجد الله أولاً بواسطة عائلاتهم. ولعلنا نشتغل بأقصى ما يمكن وإلى آخر نسمة من حياتنا لكى نكون راضين وسعداء، ولكن كلا ، فإن الهدف العظيم لله من حياتنا هو أن نمجده ، كما قال القديس بولس :" سواء كان بحياة أم بموت " (فى ١ : ٢٠).

ولنسمع مشورة أيوب عندما تخمد المصائب : 'هوذا طوبى لرجل يؤدبه الله . فلا ترفض تأديب القدير لأنه هو يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان . فى ست شدائد ينجيك وفى سبع لا يمسك سوء. فى الجوع يفديك من الموت وفى الحرب من حد السيف . من سوط اللسان تُختبأ فلا تخاف من الخراب إذا جاء . تضحك على الخراب والمحْل (انقطاع المطر وجفاف الأرض) " (أى ٥ : ١٧- ٢٢).

وهكذا كما ترى أن الهدف العظيم لله من جهتنا لا أن نكون مستريحين ومغبوطين ولا أن نحيا فى خطة عجيبة من الابتسام

المستمر والسعادة دون مواجهة الكوارث أو السوء أو الصعوبات . ومن الخطأ أن نقول لغير المؤمن "آمن بالرب وعندئذ تنتهى متاعبك، وثق فى الرب يسوع وسوف لا تعرف الهزيمة مرة أخرى " فهذا ظلم كما أنه ليس كتابيا ! لكن ليس هذا معناه أنه لا تغيير سيحدث فى حياته .

وعوضاً عن ذلك لماذا لا نكون أمناء ونقول : " آمن بالرب يسوع المسيح وهنا قد تخطو إلى عالم الاختبار الذى لم تعرفه من قبل لأنك سوف تصبح هدف المسيح نفسه وعليك أن تتمثل بصفاته فى حياتك ، وبكل صراحة لا يمكنك ذلك بدون النار أو الخسارة . ثم يقر أيوب بأمانة : " هأنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك " (٢٣ : ٨) وهنا نجد رجلا له جسد متعفن ومتحلل ، بلا أبناء ومع زوجة متذمرة ، وقلبه مثقل وها هو يخرج فى الليل يبحث عن الله ويصيح بأنه : "ليس هو هناك ! وغربا فلا أشعر به، شمالاً حيث عمله فلا أنظره . يتعطف الجنوب فلا أراه (٢٣ : ٨،٩) ".

المنظور الصحيح

تذكر أيها المؤمن أن الله يعلم الطريق " لأنه يعرف طريقى . إذا جربنى أخرج كالذهب (بمعنى أن هناك نهاية للتجربة) . بخطواته استمسكت رجلى . حفظت طريقه ولم أحد . من وصية شفتيه لم أبرح . أكثر من فريضتى ذخرت كلام فيه . أما هو فوحده فمن يرده . ونفسه تشتهى فيفعل . لأنه يتمم المفروض على وكثير مثل هذه (الاحكام) عنده" (أى ٢٣ : ١٠ - ١٤).

يا للعجب! فإن هذا أصعب شئ فى العـالم . وعندمـا أفقد كل شئ وآتى إلى آية مثل هذه وهى تقول : "هو فرض ذلك على " فهل تعرف ماذا سوف أفعل إذن ؟ إنى سوف أغير مفهومـى (نظرتـي) كما يجب أن أضغط على نفسـى حتـى أرى ذلك مـن وجهـة نظـره هو، وما كان يعتبر خسـارة يقودنـا الآن إلـى ربـح فيمـا بعـد . وقـد استعاد الـرب ثـروة أيوب وزادهـا إلـى الضعـف ، وجعـل نجاحـه مضاعفاً !

ولكن لا يجب أن نجعل من هذا الموقف الخاص قاعدة عامة ، بمعنى أنى إذا فقدت قيمة من المال فإن اللـه سوق يعوضنـى عنهـا بضعفها تماماً... لأن مثل هذا الفكر يقلل من قدرة الله ويحوله إلـى شئ شبيه ببابا نويل أو بمصباح علاء الدين .. وبركات اللـه ليست ملموسة دائماً أو تقاس بالجنيهات أو القروش.

ولكن الله عندما يعوض عن الخسارة فإنه يبنى سمات داخليـة جديدة ويعطى سلاماً عميقاً ويقدم أشياء لا يستطيعها المال ، ويحـل الأمان محل الاضطراب ومـن ثم يكون لنـا هـدف واتجـاه جديـد ، ونحصل على قلب فهيم ورؤوف بالإضافة إلى حكمة لم نعهدها مـن قبل .

اليس مثيراً لك أنك بعدما تكون منشـغلاً فـى عـالمك الصغير وفـى بيتـك الصغير ، ثم تحلق بالطـائرة يومـاً مـا وعندئـذ تتغـير نظرتك؟ فالطائرة تحلق على ارتفاعـات شـاهقة لكن مـاذا تـرى ؟ إنك ترى العالم كله هناك ! إن نظرتك قد تغيرت ، ذلك لأنك لم تعد

ترى الحياة من وجهة نظر غرفة صغيرة ولم تعد مشغولا بلون محدد.

إنه يسكن هناك ، ويضع كل شئ معا كما فى نسيج مزين جميل ، وإنك بين الحين والآخر تلمح بنظرة خاطفة على هذا النسيج وتجد كل نقطة أو عقدة فى مكانها الصحيح وأنه لا خطأ فيه (ولا فى هذا العالم) ، ولكنه هو يرى النسيج بكامله من الناحية الأخرى ويرى كل شئ دفعة واحدة .

هل تعانى حديثا من خسارة ؟ ربما لا يزال الجرح مؤلما وربما الوقت لا يزال مبكراً جداً لكى تعرف السبب؛ وربما بكل صراحة لن تعرف السبب ! ولكن ثق أن الله لم يتركك وسط كل هذا ، إنه هنا ولن يبتعد بعيداً.

قرأت مرة عن رجل تميزت حياته بالصعوبة ، وكان مؤمناً لكن حياته لم تكن سهلة ، وكانت الخسارة تأتى بعد الأخرى ، وبدا كأن الفشل والألم هما صديقاه اللذان لايفترقان عنه .

وفى إحدى الليالى حلم حلماً ، وكان مع الرب , وقد تطلع إلى الخلف إلى حياته التى ارتسمت أمامه كعلامات ظاهرة على رمال الشاطئ . وفى العادة ظهرت مجموعتان من الأقدام ، قدمان تخصه هو وقدمان للسيد المخلص . ولكنه عندما أمعن النظر رأى مجموعة واحدة من قدمين فقط لاسيما فى الأماكن الوعرة ، وهنا تقطب جبينه واضطرب فسأل الرب :

- انظر ياسيدى هناك ، لقد سرت معى طويلا فى حياتى .. ولكن عندما ساءت الأحوال أين ذهبت ؟ لقد كنت محتاجاً إليك فى مثل هذه الأوقات أكثر من غيرها ، فلماذا تركتنى ؟

- يا ابنى ، إنى لم أتركك قط ، وعلامات القدمين هذه إنما تؤكد لك ذلك ، كانت هناك أوقات أصعب مما تحتمل أنت ، وهنا قمت أنا بحملك على ذراعى ، وإن علامات القدمين التى تراها فى هذه الأماكن الوعرة هى لى ، وهى الأوقات التى حملتك فيها .

قد نشعر بأننا بمفردنا أو متروكون أو منسيون لكن الأمر ليس كذلك، لأنه فى أوقات الخسارة يلتقطنا الله ونصير قريبين منه أكثر.

الفصل الخامس

المستحيلات

(أنهار الحياة التى لا تُعبر)

إننا كثيراً ما نجد أنفسنا عاجزين فى نمونا الروحى وذلك ببساطة بسبب التحديات التى تبدو أمامنا مستحيلة تماماً ، ولعل هذه المثبطات ليست جديدة .

ولابد أن مؤلف الترنيمة التالية قد اختبر مثل هذه المشاعر لأنه قال :

إذا صادفتك أنهار تظن أنها لا تعبر ،

أو جبال لا تستطيع أن تجتازها،

فاعلم أن الله قد تخصص فى المستحيلات،

وأنه يفعل ما لا يستطيعه الآخرون .

ولئن كانت الأمور تبدو قليلة الصعوبة اليوم فانتظر ، وربما تصبح مستحيلة غداً! والواقع أن مثل هذه الأحوال ليست غير عادية، ولكن كيف نتعامل معها ؟ وأين تحصل على الإيمان لمواجهتها؟

"المستحيل" فى المكتوب :

لكى نضع الأمور فى نصابها ، أود أن نبدأ بالنظر إلى أربعة مفاتيح أجزاء من الكتاب المقدس تتحدث عن موضوع المستحيلات، إثنان منها فى سفر إرميا وإثنان فى بشارة لوقا.

كتب إرميا النبى هكذا : "آه أيها السيد الرب هاإنك قد صنعت السموات والأرض بقوتك العظيمة وبذراعك الممدودة . لا يعسر عليك شئ" (إر ٣٢ : ١٧).

وليتك تكرر قراءة هذه الجملة الأخيرة : لا يعسر عليك شئ...

هل تدرك أن أى شئ أو كل شئ قد تدعوه مستحيلاً لا يمكن أن يخرج عن نطاق ما يذكره الوحى هنا بمعنى لا يعسر عليك أى شئ ، أو لا شئ !

وربما يصعب علينا فى اللغة العربية (أو الانجليزية) إعادة صيغة هذه الجملة كما وردت فى العبرانية بمعنى أنه لا شئ على الإطلاق يعتبر بالنسبة لك غير عادى أو فائقا .. وتبدأ الجملة فى أصلها العبرى بأقوى نفى ممكن فى اللغة : كلا ، لا شئ ، مطلقا.... وياله من تعبير قوى !

ثم نأتى إلى الآية الأخرى فى ذات السفر: "هأنذا الرب إله كل ذى جسد . هل يعسر على أمر ما ؟ " (إر ٣٢ : ٢٧).

"هل يعسر على أمر ما ؟" وهنا يسألك الله أن تضع مستحيلاتك مكان كلمة " أمرما" ، فتقول مثلا : " هل ... يعسر على ؟" ولعل الإجابة الضمنية هى كلا بلا شك ، لأنه لا يعسر عليه أمر ما.

ورب قائل يقول : " هذا حق بالنسبة للمؤمنين الذين لهم الكثير من المعجزات السابقة فى تاريخهم ، لكنك لا تعرف موقفى أنا ".

لست مضطرا أن أعرف موقفك ، وكل ما أحتاج أن أعرفه – وأنت كذلك – هو الله ومواعيده ، فهو الرب أساس حياتنا وأن لا شئ يعسر عليه .

ثم تعال بنا إلى بشارة القديس لوقا ، وأرجو أن تربط ما ورد فى إرميا مع هذا الجزء من إنجيل لوقا . إنه إجابة سؤال العذراء

مريم بخصوص حبلها ، وقد ظهر لها ملاك وقال إنها سوف تحبل وتلد الرب يسوع المسيح ، وعندئذ سألت : " كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟" (لو ١ : ٣٤) .

وهل تذكر الإجابة التى قدمت إليها ؟ إنها بالضبط ما ورد فى إرميا " لا شئ مستحيل مع الله " . ولكى يصير هذا الكلام عملياً عليك أن تضع موقفك مكان كلمة " لا شئ" ، ومهما كان هذا الشئ فإنه غير مستحيل لدى الله .

وقال الرب يسوع : 'غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله ' (لو ١٨ : ٢٧).

وأرجو أن تغمض عينيك قليلا وتفكر فيما هو مستحيل تماماً ، لاسيما بعدما قرأت هذه المواعيد الأربعة عن الله ، وكلها تتفق فى شئ واحد:

لا شئ يستحيل على الله ، وهذا يشمل نهرك الذى لا يعبر أو الجبل الذى يعترض طريقك أو أى شئ مستحيل آخر... فهل هوعملك ؟ أو مدرستك ؟ أو زواجك؟ أو هل الأمر يختص بنظافة بيتك أو بأمر غسيل الملابس ، أو بخدمة الآخرين أو باصلاح العلاقات المتدهورة مع الناس؟ وهل تطلب من الرب أن يتدخل فى هذا الأمر المستحيل بالذات، ثم تتركه معه فى إيمان لاشك فيه البتة؟

من فضلك ، أفعل هذا الأمر الآن فوراً.

حادثة واحدة مستحيلة

فى إنجيل القديس يوحنا نجد حادثة مألوفة لكنها فريدة لأسباب كثيرة.

أولاً : هى المعجزة الوحيدة التى ذكرت فى البشائر الأربع مما يبين مقدار أهميتها لكاتبى البشائر كلها ، وللرب نفسه أيضا .

وثانيا : هى الحادثة الوحيدة التى طلب فيها الرب يسوع مشورة من شخص آخر .

وثالثا : هى المرة الوحيدة التى أجرى فيها الرب معجزة أمام عدد غفير من الزحام.

ورابعاً : إنها معجزة "كاملة " بمعنى أنها لم تكن أمرا طبيعياً حدث فيه بعض التغيير فى مساره، والواقع أنى اخترت هذه المعجزة لأنها تبدو مستحيلة فعلاً.

يبدأ الأصحاح السادس من بشارة يوحنا بهاتين الكلمتين : " بعد هذا ..." وهنا نسأل ماذا كان " هذا "؟ وهناك خمسة أصحاحات تسبق سرد هذه المعجزة ، وعندما تصل فجأة إلى منتصف القصة فكأنك فى بداية رواية ولكن من المنتصف ، ولذلك نحتاج أن نسأل: "بعد ماذا ؟"

لقد اختار الرب يسوع تلاميذه وأرسلهم للخدمة وبحسب القديس متى نعلم أنهم ذهبوا إلى كل قرية فى المكان ونادوا ببشارة الملكوت وبرسالة التوبة ، ثم عادوا إلى الرب يسوع منهكين وتعابي، بعدما كرزوا فى كل صوب وفج حتى تعبوا جسدياً وعاطفياً وقد أراد الرب أن يختلى بهم للراحة (وهذا أمر هام لنا جميعاً فى عملنا ومثالنا فى ذلك هو الرب يسوع أن تكون لنا أوقات للانتعاش) ،، ولهذا أراد أن يعطى رجاله العاملين باجتهاد فرصة للابتعاد عن الزحام .

"بعد هذا مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية وتبعه جميع كثير ، فصعد يسوع إلى جبل وجلس هناك مع تلاميذه" (يو ٦ : ١ - ٣).

وهكذا تتضح الصورة ، فالرب يسوع هناك على الجبل مع تلاميذه الإثنى عشر للراحة . وبعد ذلك نقرأ فى العدد الخامس : "فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعاً كثيراً مقبل إليه ".

كانوا متعبين ومنهكين وقد أرادوا أن يبقوا بمفردهم ، ولكن الرب يسوع رأى جمعاً غفيراً يقترب نحوه . وكان عددهم حوالى خمسة آلاف (عدد ١٠) ، ويخبرنا القديس متى بأن عددهم كان كذلك بالاضافة إلى النساء والأولاد (مت ١٤ : ٢١) ، ولذلك يمكن القول بأن هناك ما يقرب من ثمانية أو عشرة آلاف كانوا فى اتجاه الجبل ، وهذا عدد كبير يحتاج إلى شئ كبير !

وكان المكان مقفراً ، وأحس الجميع بالجوع ولا يوجد مخزن للطعام ، والتلاميذ لا يعرفون أحداً هنا، كما لا يعرفون أى مصدر للطعام فى ذلك المكان ، وهنا أصبح الوضع "مستحيلاً".

إلا أن الرب يسوع أراد ذلك بالضبط ، لأن التلاميذ كانوا نظيرى عندما نقول : آه يا رب ماذا يمكن أن نفعله هنا على الأرض ؟ وتلك كانت نظرة التلاميذ ، أما يسوع فقد رأى أنها فرصة يقدم فيها درساً عن معجزة. وقد سبق أن شرح لهم أنه ابن الله وأنه الله الظاهر فى الجسد ، وقد تعلموا ذلك فى الأيام السالفة، وقد حانت الفرصة الآن لكى يروه عاملاً وهو الوقت الذى تتحول فيه النظرية العقيمة إلى واقع حقيقي.

وهنا بدأ الاختبار ، وكان أول من اجتاز الامتحـان هـو فيلبس وقد ورد ذكره فى العدد الخامس : "فقال لفيلبس من أين نبتاع خـبزا ليأكل هؤلاء؟".

وربما فيلبس لم يكن أكثرهم حنكة كما أنه لم يكن مسئولاً عـن الإمدادات لهم ، وكان يهوذا أميناً للصندوق لكن الـرب لـم يسـأل يهوذا ، لماذا ؟

وقبل الإجابة عن للسؤال دعونا نـأتى إلـى العـدد التـالى الـذى يفصح كل الأمر : " وإنما قال هذا ليمتحنه لأنه هوعلم ما هو مزمع أن يفعل".

لقد كان يعرف الرب يسوع ما كان يريد أن يفعله ، وهو يفعل دائماً ! أما عملية التعليم فهى لفائدتنا نحن ، وهـو يعلـم مـاذا سـوف نفعل لكنه لا يضعنا فى آلة ميكانيكية ثـم يطلقنـا حتـى النهايـة ، بـل يدعنا نخوض الاختبار بأكمله ، ولنتذكر أنه يريدنا أن نصـبر وقت (أثناء) الضيق واثقين فيه أثناء المواقف المستحيلة.

ولذلك قال له من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟ وكـان السـؤال إلـى فيلبـس لكـى يمتحنـه وكأنـه أراد أن يتحقـق مـن عمـق إيمانــه بمعني: هل تعلـم فيلبـس كيـف يثـق بـي؟ وهـل سـوف يـتركز نظـر فيلبس على قدرتى بينما يقف هو فى هذا الامر "المستحيل "؟

ودعنى ألقى ضوءاً قليلاً على فيلبس وعندئذ سوف تقدر سـبب سؤال الرب له بالذات . إن فيلبس هوالذى قال مرة بعد ذلك لـلرب: "أرنا الآب وكفانا (أى لن نسأل شيئاً آخر) فكان فيلبس هو الشـخص

الذى يجب أن "يري" كل شئ ، وهو الشخص الذى يتشاءم من الإحصائيات ، ويريد أن يعقل كل شئ بعقله هو .

بيد أن فيلبس لم يعط جوابا لسؤال الرب له ، بل قال : "لا يكفيهم خبز بمائتى دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئا يسيراً " وهذه ليست إجابة السؤال السابق الذى قصد منه تحديد المكان الذى يمكن شراء الخبز منه (من أين ؟) لكن قول فيلبس : "لا يكفيهم خبز بمائتى دينار" فهذا نقاش آخر ، وبينما كان سؤال الرب " من أين ؟ " كانت إجابة فيلبس تعنى " كم من المال ؟".

كان الدينار وقتئذ يعادل راتب يوم واحد من العمل (حوالى ١٧ قرشاً حالياً أى أن القيمة المقترحة كلها ١٧ قرشاً × ٢٠٠ = ٣٤ جنيها !).

إنه رجل الإحصاء المتشائم ! وربما كان كل ما يريده الرب من فيلبس هو أن يجيب بالقول :"لا أعلم ، وهذا مستحيل بالنسبة لى لكنه ليس كذلك معك، ولذلك سوف انتظر لكى أرى ماذا سوف تفعل أنت ، لأنك المتخصص فى مثل هذه المواقف " ، لكن فيلبس لم يقل ذلك .

ولم ينته الاختبار بعد ، بل تقدم إلى المشهد شخص آخر له أهميته بالنسبة لنا ، ألا وهو اندراوس ، وكان مختلفا عن فيلبس مثل اختلاف الليل عن النهار . وإن كان فيلبس رأى فقط " الموقف" وحجم المشكلة ولم يتذكر مقدار عظمة الله ، واقتنع بما لا يمكن عمله أكثر مما يجب .

وربما تكون أنت مثل فيلبس ، وعندما يقترح عليك شخص ما فكرة جديدة فقد تقول له : "آه، لكنها لا تفيد "، أو عندما تسوء بعض

الأحوال ولا تستطيع أن تتعامل معها فإنك لا تتحول فوراً إلى الثقة بالله ، وكل ما تراه هو فقط ما لا يمكن عمله ، وهناك كثيرون مثل هؤلاء في عائلة الله .

سمعت مرة عن فلاح كان دائماً متفائلاً وقلما كان يفشل ، وكان له جار على النقيض منه تماماً وكان يبدو متجهماً وعابساً ويتقبل كل صباح جديد بتنهيدة ثقيلة . أما الفلاح المتفائل فكان ينظر إلى بزوغ الشمس ويصيح قائلا ما أجمل الشمس وصفاء السماء ! ويجيبه جاره مقضب الجبين وقائلا : لعلها لا تحرق المحصول ! وكلما كانت تتجمع السحب وتكون هنالك حاجة إلى المطر كان صديقنا الفلاح يقول إن الله سوف يسقي القمح اليوم ! ولكن تأتي إجابة الرجل الآخر السلبي هكذا : إذا لم تتوقف الأمطار فسوف يكون فيضان يمسح أمامه كل شئ.

وذات يوم ، قرر المتفائل أن يضع جاره المتشائم في قمة الامتحان فاشترى أجمل وأثمن كلب ثم دربه على القيام بأمور لا يستطيع كلب آخر على الأرض أن يقوم بمثلها وكأنها أعمال بطولية مستحيلة تدهش أي فرد. ثم دعى المتشائم لكي يصحبه إلى صيد البط، وبدأ الإثنان يصوبان على البط الذي بدأ يتساقط على الماء ، وهنا جرى الكلب على الماء يلتقط البط الواحدة بعد الأخرى .

- ياترى ما رأيك في هذا ؟

أجاب المتشائم بدون أية ابتسامة : إنه (أي الكلب) لا يستطيع العوم ، وهل يقدر فعلا على ذلك؟

كان فيلبس مثل ذلك الرجل ، متشائماً حتى النهاية .

يقول الكتاب : " قال واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سمعان بطرس" (يو ٦ : ٨) - (هل لاحظت أنه كلما ذكر اسم

اندراوس يتذكر دائما أنه أخو سمعان بطرس ؟) ، "هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان " ولكن كيف عرف ذلك ؟ لابد أنه كان يبحث وسط الجموع عمن لديه طعام ، وربما اقترب من الرب ونقل إليه هذا الخبر ، واستطرد فى كلامه وقال : "ولكن ما هذا لمثل هؤلاء " وليته امتنع عن ذلك التعليق ، ثم إنه تطوع بخبر لم يُسأل عنه ، وربما وضع السلة التى بها ذلك الطعام على الأرض ثم تركها وهو يهز كتفيه . ولكن الرب لم يجبه بشئ لأن تفكيره كان ضئيلاً.

وقد ينطبق ذلك علينا جميعاً ، فهناك أمثال أندراوس الذين يعملون باجتهاد ولكنهم يصطدمون بالعوائق ضدهم.

ربما لا تملك الكثير من المال، وقد تقرر أن تقدم مبلغاً متواضعاً كل شهر وتبدأ فى الحساب ومن ثم تقول : ما هذا أمام الاحتياجات المتعددة ؟

أو ربما ليس لديك وقت متسع لأن عملك يستغرق منك ساعات طويلة كل يوم، وربما تمضى خمس أو عشر دقائق فقط فى الصلاة وتقول : ما هذا بالنسبة لى ؟

إن السيدة التى كتبت ترنمية "هلم يا..... " لابد أنها كانت تفكر مثل اندراوس حينما قالت :

أعط أولادك أن يتحملوا الرسالة بمجد

وأعط من غناكَ لكى يسرعوا فى طريقهم

وصب من روحك عليهم فى صلاة منتصرة

وكل ما ننفقه سوف يعوضنا عنه يسوع .

ربما ليس لديك الكثير لتقدمه ، مثل كـل مـا كـان لذلك الغـلام ومثل كل ما اسـتطاع اندراوس أن يجده ، ولكـن هـذا هـو كـل مـا يحتاج إليه الرب وليس أكثر.

والآن نتقدم إلى المعجزة وقد تمت بمنتهى البساطة والهدوء بعدما قال الرب لتلاميذه : "اجعلوا الناس يتكئون" (يو ٦ : ١٠) ولتلاحظ أن التلاميذ سوف يشتركون بأشخاصهم فى إجراء هذه المعجزة ، ذلك لأن المعجزة كانت أساساً لفائدتهم وليست للجموع. وكان الرب فى استطاعته أن يطعم الآلاف بأى طعام يريدونه وفى أى وقت من النهار ، لكنه استخدم تلاميذه لتنظيم الناس فى جلوسهم صفوفا .

جلس النـاس حسب الأمر، ويقول الكتـاب :" وأخـذ يسـوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ والتلاميـذ أعطـوا المتكئين وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا ".

وربما لا تستطيع أن تدرك هذا مـالم تفهم أن كلمـة " سمك" كانت تعنى سمكا صغيراً مثل السردين وليس سمكا كبيراً من البحـر مثل السلامون .

لقد أخذ الرب يسوع هذه الأرغفـة الهشـة مـع السـمكتين الصغيرتين فى يديه ثم فعل المستحيل. وكان النـاس جلوسـاً علـى منحدرات الجبـل ، وانشـغل التلاميـذ فـى توزيـع الطعـام علـى الخمسينات ثم المئات ثم الآلاف !

وتذكر فيلبس الذى كـان يتصـور الحـدود الدنيـا فقط . ويقـرر القديس يوحنا بقوله : "بقدر ما شاءوا " (٦ : ١١) ، ولعلك تتخيل

عجوزا له زمان لم يتناول طعاماً فينادى على فيلبس : من فضلك أريد المزيد ، فيأتى له فيلبس بما يريد...

"فلما شبعوا ... " (يو ٦ : ١٢) ، وهذا هو عمل الله الذى لا يشمل المستحيل فحسب بل أيضاً الوفرة ، لأنه يفعل أكثر مما نفتكر أو نظن .

لقد فعل المستحيل الذى هو اختصاصه ، وتم عبور النهر وتسلق الجبل، ولم تكن هناك مشكلة !

وسوف تلاحظ أنه بعدما شبع الآكلون قال الرب لتلاميذه : "اجمعو الكسر الفاضلة لكى لا يضيع شئ " (١٢) ، "فجمعوا وملأوا إثنتى عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير ".

كم عدد التلاميذ ؟ إثنى عشر ، وكم عدد القفف؟ إثنتا عشرة . ولك الآن أن تتصور فيلبس وهو يحمل قفته على سفح الجبل ثم يصعد بها ممتلئة إلى أعلى وهويقول : " إنى لا أصدق هذا !" ، ثم اندراوس ذلك " المفكر الصغير" والذى لابد وأنه صُدم!

إطلاق الأيدى

لاشك أنك تعلم الدرس الذى تعلمه التلاميذ، أو على الأقل كان يجب أن يتعلموه ، وأنه عندما تواجه مستحيلا اتركه بين يدى الأخصائى , ولا تقم بعملية حسابية ولا تشك . وارفض أن تقوم بالأمر بنفسك ، كما لا يجب أن تقلق أو تشجع الآخرين على القلق بل قاوم ذلك.

قل هكذا : "يـارب إنـى أحمـل أمـراً لا يمكنـى التعـامل معـه . وأنت ليس فقط قادرٌ بل أيضاً راغبٌ ومهتمٌ ، لذلك خذ هذا من بيـن يدى ، ولئن هو مستحيل بالنسبة لى لكنه لا يعسر عليك".

إن الصبر وسط ضغط المستحيلات يدعو إلى مثل هـذا النـوع من الثقة.

ولكن مشكلتنا تبقى فـى أننـا نتمسـك بهـا . إذا توقفـت سـاعتك السويسرية فإنك تذهـب بها إلى الأخصـائى لأنك لا تعرف أن تديرها بنفسك . وماذا يحدث لو أنك حاولت هذا ثم بعد ذلك تـأتى بهـا إلـى الأخصـائى ؟

– يا سيدى ، لقد توقفت ساعتى .

– دعنـى ألقـى نظـرة عليهـا.. مـاذا فعلـت بهـذه السـاعة الجميلــة ؟ ولماذا حاولت بنفسك؟

إن المشكلة تحدث لو أننا تركنا الفضلات للرب ، ولكـن علينـا من البداية أن نعترف بما يستحيل علينا نحن ، لكنه هو يسـتطيع أن يتعامل مع المستحيلات .

لقد انتهيت قريبا من قراءة كتاب لصديق عزيز بعنـوان :" قل ذلك ولكن بمحبة " ، واقتبس لك منه ما يلى :

كان هناك رجل أعمال باع عمله بخسارة ثـم ذهـب إلـى عمـل مسيحى مهنى لكن الأمور صـارت أردأ ، وكـان لـه أربعـة أولاد . وفى ذات ليلة وقت المذبح العائلى قال "تيمى " أصغر الأولاد :" يـا بابا ، هل يهتم الرب يسوع لو أنى طلبت منه قميصا ؟ . فقال لـه :

" نعم بالطبع" وطلب من زوجته أن تدون ذلك في قائمة الصلاة ، فكتبت أنه مطلوب قميص لتيمى ، وأضافت أنه مقاس "٧" . وكان الطفل يتأكد كل ليلة من الصلاة من أجل قميصه . وبعد عدة أسابيع تلقت الأم مكالمة من محل ملابس وكان صاحبه رجل أعمال مؤمن، وقال لها إنه قد إنتهى من الأوكازيون ولأنه يعلم أن لها أربعة أبناء لذلك عرض عليها بعض القمصان .

وسألته : ما هو المقاس؟

قال : سبعة .

سألت بتردد: كم قميصاً عندك؟

قال : اثنى عشر .

ولكن تيمى قال لأمه: من فضلك يا أمى لا تنسى أن تصلى من أجل القميص.

- لا يلزمنا ذلك يا تيمي.

- لماذا ؟

- لأن الرب استجاب لصلاتك .

- صحيح ؟

- نعم.

وكما سبق الترتيب ، فقد توجه الابن الأكبر وأحضر القمصان، ولكنه جاء بواحد فقط ووضعه أمام تيمى ، وهكذا كان

يخرج ويدخل ثانية ومعه قميص آخر... وهكذا حتى ظن الولد أن الله يعمل فى صنع القمصان وقد اغرورقت عيناه بدموع الفرح .

إننا عادة لانعطى الله مثل هذه الفرص ، وربما بسبب ثقتنا التامة (الخاطئة) فى أنفسنا لا نعطى الله الفرصة لكى يفعل ما هو اختصاصه . وإن كان هناك ما هو مستحيل للبشر فماذا نفعل فى العالم حتى نبعده عن الله ؟

هناك استنتاج لهذا الموضوع لا أريد أن نفقده ، وهو أن نتمثل بما نقرأ عنه ، وحيث أن الأمر يتعلق بوالد مع ابنه فليس من الصعب أن نتوحد فى ذات الموقف أى نضع نفوسنا فى موضع ذلك الولد الذى آمن بأن هناك إلهاً فى السماء مهتماً تماماً بكل احتياجاته.

تصديق ما لا يمكن تصديقه

"فقدموه إليه . فلما رآه للوقت صرعه الروح فوقع على الأرض يتمرغ ويزيد فسأل أباه كم من الزمان منذ أصابه هذا . فقال منذ صباه ، وكثيراً ما ألقاه فى النار وفى الماء ليهلكه . لكن إن كنت تستطيع شيئاً فتحنن علينا وأعنا . فقال له يسوع إن كنت تستطيع أن تؤمن. كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر ٩ : ٢٠ –٢٣).

إن المكان الوحيد فى الكتاب المقدس كما أعلم والذى فيه ذكر الرب يسوع مثل هذا التقرير هو فى هذا الجزء. لقد نظر الأب إلى ابنه ثم تحول إلى الرب يسوع وقال : " إن كنت تستطيع " .. ولكن الرب يسوع قال له : "إن كنت (أنت) تستطيع !" لماذا ؟ لأنى أنا

المتخصص فى مثل هذا الشئ ، وقد يكون مستحيلاً معك لكنه ليس عسيرا عليّ.

كانت إجابة الأب طيبة ، لاسيما عندما أدرك أنه محتاج إلى ثقة كاملة لاشك فيها بعد ، حينئذ صرخ :"أومن يا سيد فأعن عدم إيمانى " (٢٤).

ربما بعض الذين يقرأون هذه الكلمات يواجهون بعض المشاكل العويصة التى قد لا تخطر على بال أحد. وهنا تكون قد وصلت إلى النهاية المطلقة ، وهى أنك لا تستطيع شيئا.

لكن ماذا يقول لك الله الآن ؟ هل يقول إن كل شئ مستطاع لمن يقلق ؟ كلا ، أو كل شئ مستطاع لكل من يحاول ؟ ، كلا ، بل يقول إن كل شئ مستطاع لمن يؤمن . وصحيح أن القصة كما وردت فى (مر ٩) هى خلاص حياة الولد وتحريره من الروح الشرير وشفائه.

إن العمل الذى يريد الله أن يتممه لن يحدث وأنت جالس هكذا تقرأ ، بل يحدث عندما تستقر ضغوط المستحيلات على كتفيك . وأولاد الله يجب أن يتعلموا سراً فى عائلة الله ، وهو أنه متخصص فى الأمور التى نظن أنها مستحيلة تماماً ، ولكن بسبب لطفه فإنه لن ينتزع هذه الأمور من بين يديك بينما أنت مصرّ على الاحتفاظ بها ، وهو كما يقول عنه المكتوب : " لذلك ينتظر الرب ليتراءف عليكم " (إش ٣٠ : ١٨).

وربما موقفك المستحيل هوالزواج المحطم ، أو ربما الفشل في الحب وبقائك مخدوعاً ، أو ربما عادة مرعبة لا تستطيع التغلب عليها ، أو ربما أمر يختص بعملك أو مستقبلك أو دراستك ، أو ربما بسبب انهيارك المادى ، او علاقة أصبحت ضاغطة ومقيدة لك لا تستطيع التعامل معها. . وإذا ظهر المستحيل أمامك ، عليك أن تنفض يديك الآن، وتطلب من الله أن يتصرف هو ، في إيمان مطلق.

وقبل أن أختم هذا الفصل ، دعنى أذكرك بشئ عملي، ولعلك تكرر ما يلي عدة مرات، كما أفعل أنا مع نفسى كل أيام حياتى ، ولا أفشل إطلاقاً فى الاتيان بما يسمى " بالمستحيلات" إلى دائرة الاهتمام :

"إننا نواجه جميعاً سلسلة من المناسبات العظيمة متألقة فى قناع المواقف المستحيلة ".

أعبر يا أخى الانهار ، وتسلق الجبال .

الفصل السادس

الانتظار

(الاختبار البطئ)

هل سبق أن سمعت هذه الصلاة (فى أمريكا) :

"يارب أعطنى صبراً ، وهبْه لى الآن !"

قدمت لى زوجتى بعد العشاء عنبا يحمل بذراً فيه ولكنى تضايقت وطلبت منها عدم العودة لذلك مرة أخرى بيد أنها سألتنى فى هدوء.

– هل تعرف لماذا يضايقك البذر ؟

– لأنى اضطر أن أعض عليه فينتشر كله داخل فمى !.

– ابتسمت وقالت لى : "كلا ، لأنه لا يوجد لديك صبر حتى تخرج البذر أولاً من كل حبة عنب . وهذا النوع طعمه أفضل ولكنه يحتاج إلى وقت أطول.

لقد كنت مشغولاً جداً ولا وقت عندى حتى أفتح كل حبة عنب وأخرج منها البذر . نعم ، ما أصعب الانتظار بالنسبة لى .

ألا تفضل أنت أن تفعل "شيئاً" عن أن تظل منتظراً ؟ ولو عرفت الحقيقة لفضل البعض منا أن يفعل الشئ " الخاطئ" عن أن ينتظر .

لقد اكتشفت أن الانتظار هو القاعدة فى هذه الحياة وليس هو الاستثناء ، بل الاستثناء هو الباب المفتوح ، فإذا صادفته فإنك تدخل فوراً ! وهذا لا يحدث كثيراً. لكن الانتظار بينما يكون الباب

موصداً لا يعنى أنك بعيد عن إرادة الله ، بل قد تكون فعلا فى مركز إرادته.

إن الباب المفتوح هو الاستثناء ، وتحدث ومضات النور الأخضر فى الحياة لبضعة ثوان فقط، أما بقية الوقت فهو يمتلئ بالنور الأصفر ، وغالباً يتردد أمامنا النور الأحمر الذى ينذرنا بالانتظار.

وانتظار الله هو راحة وليس قلقاً . ويمكنك أن تتظاهر بالانتظار وتدعى السلام بينما أنت فى الداخل لست كذلك.

وهذا يذكرنى بقصة ضمت بعض الجنود الأمريكيين أثناء الحرب الكورية ، وقد استأجروا بيتاً هناك وشاباً كورياً لكى يقوم لهم بالأعمال المنزلية . وتميز هذا الشاب بموقفه الإيجابى المستمر فكان دائم الابتسامة ، وأراد الجنود أن يسخروا منه ، فسمروا حذاءه فى الأرض ، ومرة أخرى وضعوا أوانى ماء خلف الباب حتى يبتل جسمه وملابسه ، ومرة وضعوا زيتاً على مفاتيح الموقد، ولكنهم فوجئوا أنه لم يغير ابتسامته وكان يتغلب من نفسه على كل هذه الأمور . وأخيراً قالوا له :

– نريدك أن تعرف أننا لن نضايقك مرة أخرى ،لأن موقفك كان مدهشاً لنا .

– هل تقصدون أنكم لن تسمروا حذائى فى الأرض؟

– كلا.

– وهل تقصدون أنكم لن تضعوا زيتاً على المفاتيح ؟

– كلا .

– ولن تضعوا الماء خلف الباب ؟

– كلا .

- إذاً لن أبصق بعد ذلك في الشوربة ؟

لقد كان ينتقم منهم بخسة شديدة رغم ابتسامته الساحرة .

قد نقول بوجوهنا أننا ننتظر بينما نحن مغتاظون ونخفى ذلك.

مزمور يشجعنا على الصبر

في مزمور ٦٢ نجد خطة معينة لنا جداً وسهلة أيضا تقودنا في تفكيرنا نحو انتظار منتصر للرب . ولا اعتقد أننا بحاجة إلى تعليم ممتد عن الانتظار ، ولكن ما نحتاج إليه هو أوقات الممارسة الطويلة ! وإن كان معظمنا يعرف ذلك إلا أننا نحتاج أن نعمل أكثر.

قال داود : " إنما لله (فقط) انتظرت نفسى " (مز ٦٢: ١) . وتأتى فى الأصل العبرى كلمة تعنى الانتظار فى سكون , وهى مشتقة أصلاً من الفعل العبرى الذى يعنى " الهمس الرقيق" مثلما تنقل سراً وتهمس به إلى شخص تحبه وليس بصوت عال حتى لا يسمعه آخر. وفى هذه الحالة يكون اللـه فقط هو السامع الوحيد . وقد تكررت كلمة " وحده" ست مرات فى هذا المزمور (فى الأصل اللغوي).

١ - انتظر الرب لكي يقود خطواتك:

" إنما لله انتظرت نفسى " أى لا يسرع الخطى ، بل انتظر! فالنور الأحمر يعنى : " انتظر وارقب بانتباه".

ولا يمكن أن تنتظر وتجرى فى ذات الوقت.

إن العدد الأول هو إعلان داود، والعدد الخامس هوأمر منه : " إنما لله انتظرى يا نفسى " ، وهنا يتحدث إلى نفسه . وربما حدث ذلك معك أيضا أن تتحدث إلى نفسك .

٢ - ثق بأنه يسدد احتياجاتك:

يستمر العدد الأول هكذا :" من قبله خلاصى ".

"إنما هو (فقط وحده) صخرتى " ، ولذلك يجب أن تنتظره واثقاً أنه يسدد احتياجاتك . والآن ماذا تفعل إزاء ذلك؟ أنا أعلم أنك منذ حداثتك فى مدارس الأحد قد قالوا لك إنك تنتظر الله لكى يسدد لك احتياجك ، ولكنى أسألك : هل تقدمت فى النمو بأكثر من هذا ؟ ولعلى أستطيع أن اشرح لك الموضوع لكنى لا أستطيع أن أعلمك الدرس عملياً ، الله وحده هوالذى يستطيع، وهو يتطلب الانتظار.

تعرضت ابنتى الكبرى لعملية جراحية فى عينيها ، وكانت العين ضعيفة وبسبب ضعف عضلات العين انحرفت العين للخارج (حَوَل) ، وقال لنا الطبيب إنه سوف يبذل جهده ، ولكن بعد العملية صارت العين منحرفة للداخل .

تركنا المكان إلى ولاية أخرى ، ولما لم تتحسن العين طلبنا المشورة الطبية ، وكانت آنذاك ترتدى عدسات ثقيلة . وهناك وجدنا طبيباً متخصصاً فى جراحة عيون الأطفال ولكنه أعطانا ذات الأمل السابق بأنه سوف يبذل أقصى ما فى وسعه ، ولكنه حذرنا أيضا مسبقاً من أنه بسبب الجرح السابق فإن العين قد تنحرف إما إلى الداخل تماماً أو إلى الخارج تماماً .

وأنا مثل بقية الآباء كنت مقتنعاً بأن الله سوف يجعل كل شئ على ما يرام . وخرجت ابنتى من العملية ووجهها متورمٌ والدم

واضح عليه. ولكنى طلبت منها أن تفتح عينها ، ولما رفعت الجفن أخيراً اتضح أن العين انحرفت تماماً للداخل تجاه الأنف، ولم نر إلا بياض العين فقط.

لقد أحسست عندئذ أنى أغوص فى الأعماق ، وكانت تلك من أسوأ فترات حياتى ، ولم أعرف ماذا أفعل ، وعندئذ قررت أن أنصرف . ولما سألتنى زوجتى إلى أين ؟ قلت لها : لا أعرف .

أخذت السيارة وتوجهت إلى مكتبى ، ووضعت على الأكرة بالخارج علامة " ممنوع الازعاج" ، وكان المكتب مظلماً وكنت فى اكتئاب شديد.

ولكن صديقاً قريباً منا تحدث إلى زوجتى وجاء إلىّ فى مكتبي، وطلب منى أن نغادر المكان ، وقد أحاطنى بذراعه وتوجهنا بسيارته نجوب الشوارع ولم يتكلم معى كثيراً. وبعد حوالى ثلاث ساعات عدنا إلى المستشفى وقال لى : " إنى سوف استودع الأمر حقاً لدى الله ، ويجب أن ننتظره كما يجب أن نثق به " وكانت تلك مشورة حكيمة من رجل أحبه جداً.

ذهبنا إلى غرفة ابنتى ومضت تلك الليلة . وفى الصباح التالى تطلعنا ثانية إلى عينها وكانت مستقيمة تماماً. للأمام . ولما أتى الجراح وفحص حالها قال إن الالتئام كامل ، وسوف تنزع العدسات،ولا تزال قوة إبصارها كاملة حتى اليوم .

ولست أعلم الآن لماذا لم أتعلم هذا الدرس بصفة دائمة ؟ وربما يرجع ذلك إلى الطبيعة البشرية الساقطة داخلى . وهل حدث معك أن تعلمت درساً مرتين ؟ وربما أكثر من مرتين!

نعم ، لقد انتظرنا ، ولم يكن فى مقدورنا خلاف ذلك ، ولم يكن سوى الله حتى نلجأ إليه . وقد كان لنا أفضل الجراحين والذى

تخصص فى عيون الأطفال لكنه حذرنى ، وكان يجب أن أستبدل ضعفى بقوة الله رغم أنى لا استحق ذلك . ولكنى قلت ببساطة : "هذا مستحيل يارب ، ولكن أنت تستطيع " ، وقد استطاع فعلاً.

إننا عندما ننتظر الله لكى يقود خطواتنا ، فإنه يفعل ذلك ، وعندما نثق فيه لكى يسدد احتياجاتنا فسوف يفعل . ولكن ماذا أيضاً؟

٣ - انتظر فى صمت وسكون :

"انتظرت نفسى .... انتظرى يانفسى " (١ ، ٥)

من أفضل أوقات الصلاة هى أحيانا الأوقات التى تمضى بدون كلام ، وعندئذ أغمض عينى وأبدأ التأمل فى ما قد قرأته أو كنت أقوله ثم أنصت إلى نفسى بعمق ، وأنصت من أجل التوبيخ ، وأفكر فى نفسى مثل المنزل الذى له عدة أبواب ، وفى أثناء التأمل أبدأ أفتح الأبواب فى انتظار ، وهنا يكون غزو الروح القدس لى ، ومن ثم انتهز الفرصة أمامه وأبقى منصتا والأبواب مفتوحة.

وأرجو أن أؤكد لك أنى لم يسبق لى أن سمعت صوتاً مسموعاً، فليست هذه هى طريقة الاستجابة ، ولكنه الانصات الداخلى فقط والاحساس بما يقوله الله فى ذلك الموقف ، وعلى أى حال فإن وعده هو :"أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم" (عب ٨ : ١٠).

إن ذلك يشبه ما يحدث بينك وبين من تحب، فكلما تعمقت المحبة قل الكلام ، أليس كذلك ؟ وربما تجلسان معاً بجوار المدفأة لساعة أو ساعتين ولا تقولان إلا القليل والقليل جدا ، ومع هذا قد يكون ذلك أعمق لقاء وعلاقة بينكما لم تعهداها من قبل.

ولعلك تنتهز الفرصة وتقرأ ما ورد في (رؤ ٢ : ١ –٧) وهو خطاب من الرب يسوع إلى مجموعة من مؤمني القرن الأول كانوا في منطقة تدعى أفسس . وتلك كانت مدينة كبيرة بها قديسون أقوياء وكنيسة ثابتة ولكنها فقدت شيئا.

فهل تعلم ماذا كان الخطأ في أفسس ؟ لقد تركوا محبتهم الأولي. كانوا مستقيمين ولهم مستقبل طيب ، ومتأصلين جداً ، ويقفون مع الحق لكنهم فقدوا لهيب محبتهم وسقطوا من محبة يسوع المسيح . وقال الرب إن هذا مهم للغاية وأنهم ما لم يرجعوا عنه فإنه سوف يزحزح منارتهم من مكانها ويطفئ نورها ، وبالتالي أصبحت الكنيسة عبارة عن آنية زجاجية خالية من دفء المسيح.

٤ - انتظر في ثبات وثقة :

"إنما هو صخرتي وخلاصي ملجأى " (مز ٦٢ : ٢).

هنا الإحساس بالثبات في الثقة بالرب ، وهذه هي كيفية الانتظار في سكون ممزوج بإحساس الثقة .

بصيرة الصبر

إني أحب كثيرا هذه الآية :" أما منتظروالرب فيجددون قوة" (إش ٤٠ :٣١).

وكلمة " ينتظر " في هذا المجال تعني :" أن يلوى أو يمد لكي يصبح قوياً " وفي صيغة الاسم تعني " خيطاً أو خطاً " ، وبمعنى آخر هي فكرة الامتداد أو الالتواء التي تحدث لخيوط القنب (نبات هندي) حتى بعد نهاية هذه العملية تصبح الحبال أقوى .

ويدعو البعض هذا الأمر بالحياة المتغيرة وكأننا نستبدل ضعفنا بقوة الله ، وكأني آتي بخيوطي أنا (مثل خيوط العنكبوت الصغير)

وألفها حول كابل من الصلب من شخصية الرب نفسه (خلال عملية الانتظار) وهنا تصبح خيوطي قوية نظير شخصه هو ، وكأني استبدل ضعفي بقوته التي تشبه الصلب ، وهذا لا تؤثر فيه حرارة الحرب بل تزيده تماسكاً.

وهكذا الذين ينتظرون الرب (أي الذين يستبدلون ضعفهم بقوة الله) يجددون قوة (أي يحصلون على قوة جديدة) ، ولكن تذكر أن مفتاح قوة الرب هو في "الانتظار".

وانظر إلى الأمور الثلاثة التي يقول عنها إشعياء أنها سوف تحدث :

- يرفعون أجنحة كالنسور،
- يركضون ولا يتعبون،
- يمشون ولا يعيون.

والمعنى في الأصل العبري هو : أنهم سوف ينمون بسرعة أو تخرج لهم أجنحة مثل النسور ، وما أجمل هذا المعنى . وبماذا تفكر عندما تتصور نسراً محلقاً ؟ لاشك إني أفكر في الحرية والقوة ، كما أفكر في الاعتماد على الطيران ، وأليس عظيما أن تكون قادراً على الطيران ؟ إن الذين ينتظرون الرب لهم هذا الفكر مفتوحاً أمامهم ، بمعنى حرية الطيران من ضغوط الحياة ، ويصحب هذه الحرية سلام داخلي.

ثم يقدم إشعياء وعداً بأن الذين ينتظرون إنما يركضون ولا يتعبون ، وكأننا لا نحتاج أن نلقى بالمرسى (الذي يربط السفينة بالشاطئ) بل يكون لنا الركض الروحي في النور وحرية الحركة. ثم يقول إننا نمشي ولا نعيا ، لماذا؟ ذلك لأننا ننتظر ولا نسير بقوتنا نحن بل بقوته هو والله لا يتعب أبداً.

إننا عندما نلف خيوطا حول ذراع قوته نستطيع أن نحلق بحرية ونسير بقلب منير.

فائدة الانتظار

وإذا عدنا إلى مزمور ٦٢ نجد أن الله يخبرنا عن لزوم الانتظار ، وهذا ببساطة بسبب ما يلى :

أ - هو وحده محررنا : هو خلاصنا (١) .

ب - هو وحده أماننا : هو ملجأنا (٢).

جـ - هو وحده رجاؤنا : رجاؤنا منه (٥).

ء - هو وحده مجدنا : على الله خلاصى ومجدى (٧).

هـ - هو وحده حمايتنا: "محتماى فى الله " (٧).

إذن لماذا أنتظر ؟ لأننى بدونه ليس لى تحرير ، ولا أمان ، ولا رجاء ، ولامجد ، ولا حماية ، وأكون بلا أى عون .

هل تعلم ما تعلمته فى النهاية ؟ (وأنا ممن يتعلمون ببطء فى هذه الأمور) . لقد تعلمت أن الانتظار يتضمن الثقة ويشمل الصلاة كما تعلمت أن يحوى الراحة ولعلى أعدك أن الله سوف يحفظ كلمته إن كنت تريد الانتظار.

ودعنى أذكرك بما قلته لك سلفاً فى بداية هذا الكتاب . إن كلمة المفتاح هى "المثابرة (الصبر) " وأننا ننمو ونتعلم ليس عندما تأتى الأمور فى طريقنا عرضاً بل عندما نضطر إلى الانتظار ،

وهذا هو الوقت الذى يدربنا فيه الله ومن ثم يجعلنا ناضجين ومختبرين .

لقد قرأت كثيرا عن الانتظار والصبر وتوقع تدخل الله ، لكنى لم أجد أفضل من كلمات يعقوب الرسول كما يلى :

"احسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبراً . وأما الصبر فليكن له عمل تام (أى لتستمر عملية الصبر حتى يصبح الاحتمال كاملاً) لكى تكونوا تامين (ناضجين) وكاملين غير ناقصين فى شئ (أى متمتعين بصفة الاستقلالية الصحيحة)" (يع ١ : ٢ - ٤)

يارب ، سوف انتظرك حتى تجعلنى ناضجاً

الفصل السابع

التجربة

(الخلل الممكن للضعف)

كان يُعرف "مارك أنتونى " بفصيح روما صاحب الحنجرة الفضية وقد كان رجلا ذكيا مقتدرا فى المعارك وشجاعاً وقوياً، وكان أيضا لطيفاً . ومن جهة الصفات الشخصية كان مؤهلاً أن يصبح حاكما عالمياً . لكن كانت له نقطة ضعف قاتلة فى ضعفه الأخلاقى حتى أن مدربه صاح فيه يوما وقال له : " ياماركو أيها الطفل الجبار! إنك قادر أن تغلب العالم لكنك تعجز عن مقاومة التجربة(الغواية)".

وهذا الحكم لا يطبق فقط على مارك أنتوني، وليس فقط على أهل هذا العالم غير المخلصين ، بل إحقاقا للحق إنه ينطبق على كثيرين من الرتب الكنسية . وإننا جميعنا نقابل التجربة ، والحقيقة العملية هى أن كثيرين لا يعرفون كيفية مقاومتها والتغلب عليها .

وهذا ما أريد مناقشته هنا ببساطة . وإن كتبت كتاباً عن صراعات القديسين دون الإشارة إلى التجربة فإنه يكون كتاباً ناقصاً وغير واقعى .

ولماذا تكون التجربة هكذا " ناجحة" جداً ؟ وما الذى يجعلها فعالة ؟ وكيف نتعامل إزاءها ؟ وهل يمكن أن نتعلم شيئاً لم يتعلمه مارك أنتونى ، أى مقاومتها ؟

التجارب والامتحانات ، والفرق بينهما

هناك فرق محدد بين التجارب والامتحانات . فالامتحانات عبارة عن اختبارات لإيماننا. وعادة لاشئ غير أخلاقى فى اجتياز الامتحان. والامتحان صعوبة ومحنة ، ولكنه عامة ليس شراً ولا يأتى من شر .

وربما تلاحظ أن القديس يعقوب يتحدث عن مشكلة " التجارب" أو الامتحانات (يع ١ :٢ ، ٣) . ويستمر الرسول فى كتابته عن التجارب حتى عدد ١٢ ، ثم يتكلم في العدد التالى عن " التجربة " : " لا يقل أحد إذا جرب إنى أجرب من قبل الله " (يع ١:١٣).

ولنأخذ مثالاً عن تجارب أيوب الذى فقد صحته وعائلته وبيته وعمله وفقد كل شئ! ولكن مشاكله كلها لم تأت بسبب شئ غير أخلاقى ، وكان ذلك اختباراً له ، بل فى الواقع سلسلة من التجارب الشديدة ، كما درسنا ذلك فى الفصل الرابع .

أو تأمل إيليا المكتئب تحت البطمة عندما كانت حياته مهددة فهرب لكى يختبئ وهناك ترجى الله وقال : "الآن يارب خذ نفسى لأننى لست خيراً من آبائى " (١مل ١٩: ٤) . ولا يوجد شر أو شئ غير أخلاقى تسبب فى إختبار الاكتئاب لدى إيليا ، وكان ما حدث عبارة عن اختبار أو محنة أو ضيقة .

ويوحنا كاتب سفر الرؤيا كان منفياً فى جزيرة بطمس ولكن ليس بسبب خطأ أخلاقى ، ولكنه كان يمتحن بأن أبعد عن كل الذين عرفهم وكانوا أعزاء له .

لكننا عندما نأتى إلى الغواية – التجربة – فهذا أمر مختلف. ولئن تكررت كلمة " تجربة " من عدد ١ – ١٢ لكن معناها فى ذهن الكاتب اختلف فى عدد ١٣ ، وتغير المعنى من فكرة المحنة إلى فكرة الشر الخادع.

ومعنى التجربة هنا– كما نجدها فى أى قاموس – هو "عمل خداعى لفعل الخطأ مع وعد بالمسرة أو الربح"، وهذا صحيح ! فالتجربة تحفزك للشر بوعد صالح ، وهى تشبه الشيطان نفسه .

وربما نميل أن نفكر فى الجانب الحسّى للتجربة ، وإذا سألنا هكذا :" ما هى التجربة بالنسبة لك ؟ " فإن الغالبية من القراء سوف يقولون : " إنها كل ما يتعلق بالطبيعة الدنيا وبالجانب الحسِّى (أو الجنسي) فى الحياة أى كل ما يتعلق بشهوة العين وشهوة الإنسان "، وإن كان ذلك تجربة لكن ليس كل أنواع التجارب ، فربما تكون التجربة هى مجرد القيل والقال ، أو الاستيلاء على ما ليس لنا، أو الحسد ، أو الكذب... وهناك تجارب من كل نوع . ولذلك لا تضع

التجارب فى مجال الأمور الجنسية فقط مع أنها أكثر الأنواع انتشاراً.

إجابة بسيطة

يمكن إبطال (معادلة) التجربة بعمل مؤكد ومحدد ، وهذا العمل هو ثمر للروح القدس :" وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف . ضد أمثال هذه ليس ناموس " (غل ٥ : ٢٢، ٢٣) .

والكلمة التى نقصدها هناهى " تعفف " ، والكلمة اليونانية تعنى "فى قوة" (أو انضباط ، راجع ١كو٩:٢٥)، أى أن ثمر الروح هو قوة داخلية ، وقد تعنى عادة هذا المعنى : " السيادة على الذات" بالمعنى الأدبى .إن من بين الأشياء التى يعد بها روح الله أن يفعلها مع أولاد الله هى أن يمكنهم من السيادة على النفس وعلى الضعف وعلى مجالات التجربة . إذن كيف تضاد التجربة، بالتعفف – أى السيطرة على النفس – وليتك تثبت هذا الفكر فى رأسك.

ولكن لحظة من فضلك ، فربما بينما تقرأ هذا الكلام يغريك هذا الفكر : إن هذا الأمر ليس من شأنى أنا بل هوعمل الله ،ولا أقدر أنا على شئ ، ودورى سلبى فقط لكن الله هوالعامل الإيجابي، ثم إن ثمر الروح هو التعفف.

أنا متأكد أنك سمعت مثل هذا الفكر ، ويبدو ظاهرياً أنه معقول، لكن مثل هذا التعليم الخبيث هوالخطأ بعينه، فمع أن التعفف يأتى من روح الله إلا أننا نحن الذين نقوم به إيجابياً ، فالروح القدس ونحن إيجابيان معاً! وهذا أمر مهم يجب أن نتذكره ، فهو مجهود فريق يشمل الطرفين معاً .

وهناك تعليم يطوف حولنا اليوم يقول إنه إن كان هناك شئ يجب أن يتم فإنى انتظر سلبياً واترك الله يعمل كل شئ ، بمعنى أن لا أفعل شيئاً أو أفعل القليل جداً ، وإذا تدخلت فى الأمر فذلك أمر " من الجسد" ، ويبدو الصلاح والتقوى فى هذا الكلام ، وربما يصدق ذلك من الناحية الفنية .

بيد أن ذلك هونصف الحقيقة ، ومثل وجهة النظره هذه تترك الشخص غير مشترك فى الحياة ، وفى بعض الأحوال العجيبة

تخرج مثل هذه الأمور الصافية من قلبى العجوز فأتطلع وأتعجب من عمل الله العجيب وكأنى خارج نفسى وأراقب فقط ما يحدث لي.

ولكن دعنى أقول لك إن هذا الفكر ليس كتابياً وغير صالح للعمل . وإذا حاولت أن تتعامل مع التجربة بطريقة سلبية فسوف تهزمك كل أيام حياتك! بيد أن قوة وثمر الروح القدس فى إمكانك ، والتعفف نقوم به ، وليتك تتوقف قليلاً حتى تقبل هذا الفكر .

وكيف نعلم هذا ؟

لقد كتب القديس بطرس عن التعفف ، وقال :

" اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمنية لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الالهية هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة . ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا فى إيمانكم فضيلة وفى الفضيلة (التى لكم) معرفة ، وفى المعرفة تعففاً وفى التعفف صبراً وفى الصبر تقوى ، وفى التقوى مودة أخوية وفى المودة الأخوية محبة " (٢بط ١ : ٤ - ٧).

وهنا يحصر الله مسئوليتنا فى سلسلة هذه الأوامر عندما يقول: قدموا (أضيفوا) تعففاً .. وقد يبدو الأمر متناقضاً ، فبينما يدعو الرسول بولس التعفف من " ثمر الروح" وهذا حق ، لأن التعفف هو شئ نناله من المساء عطية من الله عندما يحيا روح الله فينا ويسيطر علينا ، إلا أن القديس بطرس يقول إننا يجب أن "نقدم" ذلك!

وحل هذا التناقض الظاهرى فى إدراكنا بأن الله هو مصدر القوة ، وأننا بهذه الوسيلة نحن نمهد الطريق لإتمام الأمر . وهذا

الأساس ممكن لكل أولاد الله ، ولكنها مسئوليتنا أن نطيع وأن نتمم عمل التعفف لكى يحدث عمليا فى حياتنا .

أربع حقائق عن التجربة

وتقع هذه الحقائق فى ثلاثة أعداد من رسالة يعقوب:

"لا يقل أحد إذا جرب إنى أجرب من قبل الله لأن الله غير مجرب بالشرور (لا يمكن خداعه أو تجربته بالشر) وهو لا يجرب (لا يغري) أحداً . ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته . ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتا " (يع ١ : ١٣ - ١٥).

١-لابد من التجربة :

"لا يقل أحد إذا جرب إنى أجرب من قبل الله " وهنا يقصد الرسول أنه "متى جرب أحد " ولا تعنى هنا " إذا" مجرد احتمال التجربة بل هى لابد حادثة ، ولكن المشكلة هى بعد حدوثها . وربما يكون أمراً عجيباً لو أننا عشنا بدون مواجهة التجربة ، لكن الحقيقة البسيطة هى أننا لا نستطيع ذلك .

وإذا فكرت أنك سوف تجد مكاناً يوجد فيه سر فريد للنصرة ، أو كنيسة مثالية ، ومكان لا مجال فيه للتجربة ، فأرجوك أن لا تذهب إلى هناك ، ذلك لأن مجرد ذهابك إليه سوف يفسد المكان ، وعندما تذهب فإنك سوف تأخذ معك رأسك وأفكارك ،وتلك هى وسيلة التجربة ، ولن يكون هناك مكان على الأرض يخلو من تجربة .

إن الراهب الذى يعيش حياة الأديرة يصارع التجارب بحقيقتها مثل أى رجل أعمال فى أى مكان آخر . والبائع الذى يواجه إغراءات تنافس الحياة يصارع ذات الاغراءات التى تواجه الرجل الذى يعمل فى حقل الخدمة المسيحية لا أقل ولا أكثر ، وكل واحد منا يواجه تجربة لأن ذلك لا يمكن تجنبه ، ولا يمكن الهروب منه .

٢ - التجربة (الاغراء) ليس أبداً من الله :

إنه يسمح بها ، لكنه ليس الموجّه لها بكل تأكيد . فالله لا يوجهنا إلى الخطية ، ولنلاحظ قول الرسول إن الله لا يمكن أن يجرب بالشر كما أنه لا يجرب أحداً (يع ١ : ١٣) .

ولنتذكر كلمات القديس يوحنا : " الله نور وليس فيه ظلمة البتة" (ايو ١ : ٥) ، ومعنى هذا أنه لا شركة لله مع الخطية ، فهو لا يتحملها كما لا يقودنا إليها . ولكننا نخطئ بإختيارنا . وعندما أحاطت الملائكة بعرش الله قدمت له هذا التسبيح : "قدوس، قدوس، قدوس رب الجنود" , وكلمة " قدوس" تعنى الانفصال التام عن الخطية .

ودعنى أقول بكل حرص وبقدر استطاعتى أنه لا خطأ فى مواجهة التجارب ، ويخبرنا الوحى بأن الرب يسوع كان " مجرباً فى كل شئ مثلنا بلاخطية " (عب ٤ :١٥).

لكن كيف نتعامل مع التجربة ؟

" لا يقل أحد إذا جرب إنى أجرب من قبل الله " (يع ١ :١٣)

هل وجدت نفسك مرة تفعل ذلك ؟

إن المثال التوضيحي لهذا هو آدم في جنة عدن ، فبعدما أكل من الشجرة وجاء الله وسأله عما فعل ، فهل تذكر ماذا قال ؟ "المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت" (تك ٣: ١٢) بمعنى : انظر يارب، لقد كنت متمتعاً بجمال وبركات الجنة حتى أتت هذه السيدة التي جعلتها في حياتي ولولاها ما كانت هذه التجربة لإغرائي .

وهذا هو بالضبط الفكر الذى أراد الرسول يعقوب أن يناقضه، ولا يأتي بنا الله إلى الخطية سواء مباشرة أو بطريق غير مباشر، ولكن بالتاكيد يسمح الله لأحداث حياتنا بأن تحدث لنا ، أما عندما نستسلم للإغراءات التي تظهر أمامنا فليس له دخل على الإطلاق في ذلك العمل ، بل العكس لأني أنا أو أنت الذى يعصى الله ويخضع للتجربة.

٣ – التجربة هي أمر فردى :

"ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته " (يع ١٤:١).

وأرجو أن تلاحظ كلمتى " كل واحد " والضمير الغائب في كلمة " شهوته (هو) " ، فعندما نختار أن نستسلم للتجربة (وسوف نناقش هذه العملية بعد قليل) فذلك أمر فردى ، ولا تستطيع أن تلوم آخر عليه .

ولا يوجد شئ خارجنا له القوة الكافية التي تجعلنا نخطئ – ولا حتى الشيطان – ولكن الخطية تحدث عندما نوافق على

الإغراء ونتبعه ، فالموافقة هى من جانبنا نحن ، وما لم أضم ذاتى كفرد فإن الخطية لن تحدث ، وحتى هذه النقطة أكون أنا آمناً ونقياً.

ودعنى أشرح ذلك بهذه الطريقة.

لى صديق كان يعمل فى بنك رئيسى ، وكان عمله يتطلب رحلات كثيرة إلى ذلك المكان حيث كانت هناك أكوام وأكوام من الأوراق النقدية يتم عدّها وحفظها .

وقد أخطأ مرة واصطحبنى معه ، وتم تفتيشنا جيداً قبل وأثناء الدخول حتى وصلنا إلى غرفة محاطة بزجاج لا يخترقه الرصاص ورأيت كثيرين بداخلها يقومون بعد النقود فقط . وهنا سألته :

– كيف يستطيعون البقاء هنا ومقاومة الإغراء ؟

(وهذه فكرة فاسدة كانت من عندي) .

– كل شئ يتم سليماً طالما أن عملهم يتركز فى مجرد عد هذه الأوراق دون أن يتطرق ذهنهم إلى قيمتها الفعلية ، وكأنهم يعدون أوراقاً من جريدة أو من خطابات ، ولكن إذا فكر أحدهم بأن هذه الورقة ذات المائة أو الألف دولار وأنها قابلة للصرف فتلك هى المشكلة .

إن الأبواب المفتوحة على الخطية تواجهنا يومياً ، والشخص الذى يركز على الرب يسوع وعلى بره لا يعبأ بما يحدث ويتوارى بإرادته ، أما الشخص الذى ينوى إشباع رغباته فإنه يدخل وربما يحتج بالقول بأنه غير قادر على نفسه . أما الاخبار السارة التى نسوقها إلى المؤمن هى إمكانية ذلك بواسطة قوة الروح القدس.

٤ – إن التجربة التى تقود إلى الخطية تتبع دائماً مساراً واحداً:

والعدد (١٤) يبدأ العملية والعدد التالى (١٥) يحمل النهاية كما يلى:

الخطوة الأولى : إلقاء الطعم

الخطوة الثانية : انجذاب الرغبة الداخلية إلى الطعم .

الخطوة الثالثة : تحدث الخطية عندما نذعن ونتناول الطعم.

الخطوة الرابعة: تؤدى الخطية إلى نتائج مؤسفة ، ونجد أنفسنا مأسورين ومعذبين.

والقديس يعقوب يستعمل كلمة " انخدع" وهى تحمل معنى خداع الطعم للسمكة الكبيرة التى تخرج من مكان اختبائها لتلتقط الطعم وهنا تكون قد سقطت وتم اصيادها .. وهذا ما يحدث معنا بالضبط.

أما إذا كنا مطيعين للرب ونستمد منه قوتنا وفرحنا فإن أجهزة الشر من حولنا تلقى بكل أنواع "الطعم" إلا أن ذلك لن يجذب انتباهنا بجدية ، نعم إن الطعم هناك ، لكن كلمة إلهنا وقوته أقوى وأهم من أى شئ آخر .

ولكن عندما نختار عدم الطاعة لله وننزلق نحو الطعم فإننا ذاهبون إلى نهاية المطاف.

وربما تعجب من القول المستمر للرفض (لا) ، وهنا أدعوك إلى قصة يوسف وهو مثال نموذجى للتعامل مع التجربة (تك ٣٩: ١-٨).

كان يوسف يضع الله أولاً فى قلبه ولذلك قال : " كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله " وهكذا رفض الطعم بإصرار وعلم ، ورغبة حقيقية .

ولما اشتد عليه الحصار " ترك ثوبه فى يدها وهرب وخرج إلى خارج " ، وأنا أحب هذا التصرف !لقد هرب مثل المجنون ، وأمسكت امرأة فوطيفار بالثوب لكن يوسف حصل فى النهاية على المجازاة .

وبهذه المناسبة ، هناك تسمية لأولئك الذين يتلكأون ويحاولون تبرير الشهوة فيقولون إن الذى يقع تحتها هو " ضحية " ، مع أنه هو يرغب فى ذاته أن يكون " ضحية " .. أقصد طبعاً يرغب فيها والاستجابة لها ..

طرق عملية لمواجهة التجارب

تأمل يا أخى إن هذا ممكن.

لقد اعتبرنا أن مقاومة التجربة أمر غامض ولايمكن الوصول إليه كما لو أنه موهبة لا يبلغها سوى العجوز جداً أو التقى جداً .

إن كل الذين ينتمون إلى الرب يسوع المسيح يستطيعون أن يقولوا " لا " ولا يوجد سحر فى ذلك ، وتستطيع أن تضع الرب بكل بساطة فى دفة حياتك وتقول " لا " .

وأظن أنه جون وسلى الذى قال : "اعطنى رجالاً لا يحبون سوى الله ولا يكرهون سوى الخطية " ، وهذا هوالمطلوب بعينه ، وسوف يعطيك الرب القوة للوقوف (أو الهروب) مع الرفض (لا) عندما تأتى التجربة .

ودعنى أضع هذا التمرين فى أربع خطوات عملية يمكن اتباعها كما يلى :

١ – قاوم التجربة ولا تتسامح معها :

كتب القديس بولس هكذا : " لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله " (رو ٦ : ١٣).

وإنى أرى ذلك أمراً إيجابياً ، فالله لا يعطينا أمراً سلبياً فقط ، بل يقول لنا " اذعنوا لله " أى بمعنى لا تحاولوا أن تتواجدوا فى أمان مع التجربة بل قاوموها .

ودعونا لمواجهة ذاك : ولعلنا نفعل أشياء تجعلنا ضعفاء ، ولكى أكون أكثر تحديداً أقول إذا كنت تضعف بأنواع معينة من الموسيقا فكأنك تلعب بين يدى الشيطان نفسه لكى يجعلك تصغى إليها ، وإذا كنت تضعف بسبب صورة خاصة متحركة تأتى أمام عينيك بشهوات لا تستطيع التعامل معها فأنت بذلك لا تبطل الخطية أو التجربة ، بل بالحرى تتساهل معها وتغذيها وتدفعها.

وإذا كنت لا تستطيع التعامل مع كشك الصحف فابتعد عنه! وإذا كنت تغذى عقلك بوسخ " المجلات الأهلية" (وأعنى حتى أشهر الصحف) ولا تستطيع التعامل معها فابتعد عنها ، ولا تكتفِ بحركات لسانك أو هزكتفيك بينما تقلب فى صفحاتها.

تعلم من يوسف ، واهرب .

قال داج همرشولد الذى كان سكرتيرا عاما للأمم المتحدة فى أواخر الخمسينات هذه الحكمة .

"إنك لا تستطيع أن تلعب مع الحيوان الذى بداخلك دون أن تصبح أنت حيواناً كاملاً، بل العب مع الكذب دون أن تخسر جانبك نحو الحق ، والعب بقسوة دون أن تفقد حساسية العقل. ومن يريد أن يحتفظ بحديقته نظيفة لا يجب أن يحتفظ بأعشاب كثيرة ".

ولعله من السذاجة والغباء إذا كنت تعلم ما يضعفك ولكنك تغذى نفسك به . وإذا كنت تأتى باستمرار بالتجارب أمام عينيك وتدعها تستقر فى عقلك فأنت تلعب إذن بين يدى الشيطان ، وإذا كنت تضعف بسبب علاقات مع بعض الناس فامتنع عنهم .

وليس ذلك من قبيل الالتزام بالأخلاق ، ولكنه عمل النعمة العجيب الذى يستطيع أن يحررنا من القيد ويمكننا من خدمة الله . ولنتذكر قول الرسول : "لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية " (رو ٦ : ١٣)، ولو كان ذلك عملاً مستحيلاً لما طلب الله منا أن نستمر فى عمله ، بل كان يأمرنا بالتوقف عنه !

٢- استخدم المقاومة الصحيحة :

سوف أقدم لك بعض الأمثلة ، لأن التعامل مع كل التجارب مختلف فى الكتاب المقدس .

عندما تذكر الشهوة أو الخطية الحسية فى العهد الجديد فإن الكتاب يخبرنا بأن نهرب ونجرى منها، مثلما فعل يوسف بالضبط ، أما إذا حاولت الوقوف أو الحرب أو التسامح معها فإنى أضمن لك أنك سوف تسقط فى النهاية ضحية لها . ولعلك تستطيع أن تصنع تعهداً ليعينك ، وهل يوجد مثال لذلك ؟

" عهداً قطعت لعينى فكيف أتطلع فى عذراء ؟" (أى ٣١: ١)- كيف أنظر نظرة غرامية إلى فتاة ؟.

إن بوابة العين أمر مبارك ، ولكنها تفتح علينا عالماً ملموساً ، فإذا كنت أمام هذا النوع من التجربة فيجب عليك أن تصنع مثل ذلك العهد.

ويذكر لنا الكتاب أيضا عن النظر المستقيم دون التحول يمينا أو يساراً ، ويقول : "لتنظر عيناك إلى قدامك وأجفانك إلى أمامك مستقيماً "(أم ٤ : ٢٥).

ودعني أشركك معي في اختباري في إحدى المُدن ، وكنت في طريقي إلى مجموعة حربية كانت تجتمع معاً لدراسة الكتاب المقدس ، ولكني اكتشفت أبواباً متتالية في الطريق تؤدي إلى إشباع الشهوات، وهنا تذكرت ما ورد في (أم ٤ :٢٥) كان هو الحل العملي ، فلم أحول عيني يميناً أو يساراً وإلا فإني سوف ألتقط الطعم ، ولعل النظرة الثانية هي التي تقود الإنسان إلي الخطية .

ولعلي أريد أن أكون أكثر تحديداً في هذا الأمر . وإننا نؤثر على بعضنا البعض بطرق مختلفة ، فالنساء يؤثرن على الرجال بمظهرهن وملبسهن ، والرجال يؤثرون على النساء بأقوالهم وطريقة تعاملهم . ثم الشابات وأنا أهتم هنا جداً بطريقة ملبس البعض منهن ولا أظن أنهن يدركن تماماً (لاسيما الفتيات) مقدار تأثير ملبسهن على الفتيان ، ومهما كان الرجل ذا أخلاق عالية إلا أن له عينين وله بعض المشاكل إزاء ذلك . وأرجو أن كل فتاة أو شابة تقرأ هذه الكلمات تدرك أن هذا جزء من حياتها سوف تُسأل عنه أمام الله ، وأن الملبس والسلوك ربما يكونا من التجارب التي يضعنها لإغراء الرجال .

وكذلك الفتيان والشبان ، وأرجو أن يحترسوا فيما يقولون وكيف يتصرفون لا سيما عندما يتلامسون مع أية امرأة ، ذلك لأنك مسئول أمام الله في مساعدتها على طهارتها فلا تندفع بيديك!

وإذا كانت تجربتك هى النميمة والكذب، فالله يقول إن هناك حلاً لذلك ، وهو التجنب ، وربما تقول إن ذلك هو إحدى الطرق ، كلا ، إنه الطريق الوحيد! إن اللجام ليس حلاً للنميمة ، بل هناك حاجة إلى كمامة .

توقف عن الكلام ولا تقل شيئاً . ومن السهل أن تسمع مثل هذا: "علينا أن نصلى باجتهاد أكثر " ، أو ربما لأنك مهتم بمثل هذه الأمور وتشعر أنه من واجبك أن تخبر أحدهم بالأمور المفزعة الحادثة فى حياة آخر.

كلا .. قل فقط للرب ، وهو يحفظ الأمر سراً.

وإذا كان الأمر سرياً أو أنك لا تستطيع أن تتبع مصدر الأخبار ، وإذا لم يصرح لك بالحديث عن الشخص الذى تتحدث عنه ، فعليك عندئذ أن تغلق فمك !

لقد تحدثنا حتى الآن عن طريقتين لكسب الحرب ضد التجربة: إبطالها وعدم التساهل معها ، ثم استخدام المقاومات الصحيحة لكى تتناسب المقاومة مع الهجوم.

وإليك شئ آخر:

٣ - تذكر بأن الألم فى النهاية سوف يمحو اللذة المؤقتة:

وهذا هو بالضبط ما فعله موسى عندما اختار السير مع الله ولا يتمتع بأسلوب الحياة فى مصر : " بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية " (عب ١١ : ٢٤ و ٢٥).

وياله من تعبير حقيقى وبسيط " تمتع وقتى بالخطية "- أى المسرات الزائلة للخطية - وهل هناك تمتع - أو مسرة _ فى

الخطية ؟ نعم ، إنها ملذة جداً حتى أن الناس يخاطرون بسمعتهم من أجل تذوق الخطية ، وفى سبيل ذلك تتعادل المخاطر التى تنبهنا مع كل مجهودات العقل ومن ثم نتحول عن التحذيرات الداخلية وننفدفع نحو الشهوة .

كان "ديتريش بونهوفر" لاهوتياً ألمانيا وقد كرس حبه للرب يسوع ، ولكنه شنق بواسطة النازيين فى التاسع من أبريل عام ١٩٤٥ م وكان عمره ٣٩ عاما وكان قد وصل إلى درجة علمية عالية وكسب احترام وحب الشعب المسيحى فى ألمانيا وفى خارجها.

لقد رحل هذا الرجل لكن أعماله باقية ، وكتابه عن "التجربة " هو من أفضل ما قرأت عن هذا الموضوع ، وقد أوضح فيه شرحاً حياً لميلنا لكى نتنحى عن التحذيرات لاسيما عندما تبرق أمامنا إغراءات الخطية ، وهذا ما يحتاج إليه كل جيل لكى نعلنه له كما يلى :

"يوجد فى أعضائنا ميل ساكن نحو الشهوة وهو مفاجئ وقوى فى ذات الوقت ، وتتسلط الشهوة بقوة يصعب مقاومتها على الجسد، وعلى الفور تتقد نار خامدة سراً ، ويحترق الجسد ويصبح ملتهباً ، ولا فرق إن كانت هى شهوة جنسية أو طموحاً أو غروراً أو شهوة إنتقام ، أو حب الشهرة والقوة ، أو النهم نحو المال ، أو ربما تلك الشهوة نحو جمال العالم والطبيعة . ولكن فرحنا فى الله هو ما يميزنا ولذلك نطلب الفرح فى المخلوقات . وفى مثل هذا الوقت يكون الله ليس حقيقة لنا ، وتصبح الشهوة هى الحقيقة بالنسبة للمخلوق ، والحقيقة الوحيدة هى الشيطان . والشيطان هنا لا يملأنا بالكراهية نحو الله بل بنسيان الله , وهنا يضيف كذبة إلى برهان

القوة هذا . والشهوة التى تصحو هكـذا تغلف عقل وإرادة الإنسان فى أعماق الظلمة ، ثم تسلب منا قوى التمييز واتخاذ القرار ، وتتقد من هذه الأسئلة أمامنا :"هل ما يشتهيه الجسد حقا خطيـة فـى هـذه الحالة ؟ ، وهل غير مسموح لى حقا فـى هـذا الموقـف بـالذات أن أشبع شهواتى ؟"، وهكذا يحـاول المجرب أن يضعنـى فـى موضـع متميز كما حاول سابقاً مع ابـن اللـه عندمـا كـان جائعـا ، لكـن هـل افتخر بامتيازى ضد الله ؟

وهنا يقوم كل ما بداخلى ضد كلمة الله .

ولا شك أننا مررنا بمثل ذلك ، ولكى نبقى بعيداً يجب أن نقول لأنفسنا مرة بعد الأخرى : "لن أشبع شهوتي!" ، وفـى النهايـة يجـب أن أواجـه نتـائج مؤلمـة يصعـب تصديقها ، ولذلك "لـن أذعـن !" ، وصدقنى أن الله سوف يكرم موقفك العفيف هذا . وسيمنحك القـوة على أن تنتصر وتستمر فى الانتصار.

٤ - سيطر على حياتك الفكرية من خلال تذكرك للكلمة:

عندما تقدم الشيطان بكل هجومه ضد الرب يسوع تغلـب ربنـا على التجربة بواسطة استخدام المكتـوب وقـال لـه "مكتـوب" ثـلاث مرات ! (مت ٤ : ١ - ١١).

ويسأل صاحب المزمور هكذا:

"بم يزكى الشاب طريقه؟

بحفظه إياه حسب كلامك...

خبات كلامك فى قلبى

لكيلا أخطئ إليك" (مز ١١٩ : ٩ , ١١).

وهذه كلمات مألوفة لكنها قوية ، وعندما تُختزن كلمة اللـه فـى عقولنا تكون على أهبة الاستعداد وقت اللزوم، ولا يوجد سلاح يقف ضد الحق (كلمة الله) .

ولكن ما مدى عمل ذلك فعلياً ؟ ولعلى أشهد أنا شخصياً بأن هذا أمر عملى المرة بعد الأخرى .

بينما كنت في كندا تعرضت لإحدى التجارب ، ولكن الله أعطانى إجابة فورية من الكتاب المقدس وذكرنى بهذه الآيات :

- " لا تضلوا الله لا يشمخ عليه فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً " (غل ٦ : ٧)

- " البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس "(أف ٦ : ١١)

- " أحسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا. إذاً لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته " (رو ٦ : ١١، ١٢).

إن كلمة الرب قد حفظتنى أميناً مرة ومرات طيلة خمسة وعشرين عاماً من الزواج ، وهكذا تعمل الكلمة المحفوظة .

تم تشييد بناء جميل كان مركزاً للمدينة وكان به قسم الشرطة والمطافئ ، وبدا فى البداية جميلاً وأحب منظره كل الناس.

لكن بعد أشهر قليلة ظهرت بعض الشقوق فى المبنى ، وصارت الأبواب لا تنغلق جيداً وكذلك الشبابيك ، وبدأت الشقوق تظهر فى الحوائط.

وبعد دراسة مستفيضة تبين وجود أعمال حفر للمناجم بالقرب من المبنى مما أضعف البنية الأساسية للمنطقة كلها ، ولذلك بدأ المبنى يتشقق تدريجياً ويميل ويغوص ثم يتحطم بسبب الخطأ تحته.

وليس من الصعب أن نفهم المعنى الأدبى من هذا ، فإذا كنت تضيع الوقت سدى مع التجربة وتتلاعب وتتلكأ بالقرب من طعمها مرة بعد الأخرى ، فلابد أن يحدث تدمير مستمر هناك فى أعماق قلبك وحياتك ، وهذا الضعف أوالخطأ الكامن سوف يقود إلى دمار أدبى قد لا تتخيله .

تعال الآن واصلح أمورك .. وإلا فإنك سوف تندم فى ما بعد.

الجزء الثانى

* * الضغوط الداخلية * *

الفصل الثامن

الأخـطــاء

علامات النقص

التى لايمكن تجنبها

إننا كمؤمنين نعانى من مرض شائع ألا وهو أننا نفعل أخطاء ولكن بأمانة . ولا أتحدث الآن عن الخطية الإرادية ، فالأخطاء قد تؤدى إلى الخطية ، ولكنى أقصد الأخطاء الأمينة ، وهى ببساطة كما قال عنها أحدهم ما يلى :

أن تخطئ معناه أن "تختار خطأ" أو " تحكم حكماً خاطئاً" ، وهناك معنى أكبر : أى موقف خاطئ ، أو عمل أو مقولة تأتى من حكم خاطئ أو معرفة ناقصة أو قصد غير كاف . وتذكر أننا لا نتحدث الآن عن العصيان المتعمد ، ولا عن الخداع الشيطانى ، لكننا نتحدث عن أخطاء بقصد الصلاح وهى التى نتعرض لها جميعنا . وسوف نرى أن مثل هذه الأخطاء البسيطة تفتح علينا عادة الباب إلى نشاط خاطئ.

ولقد وجدت خمس مجموعات من الأخطاء مشروحة فى الكتاب المقدس ، ونجد فيها أخطاءنا والعوامل التى تقودنا إليها.

١ - أخطاء بدافع الهلع

هذه الأخطاء نفعلها عادة بسبب الخوف أو بسبب التسرع أو نتيجة القلق، ومن ثم نخاف ونتخذ قراراً خاطئاً.

راجع (تك ١٢ : ١٠) والخطأ الذى صنعه ابراهيم . ولنتذكر أن الله قال لإبراهيم إنه سوف ينال ميراثاً متميزاً وعليه أن يسلك كاملاً واثقاً فى الله ، وأنه سوف يصير أباً لأمة عظيمة.

وبينما كان هذا الوعد لا يزال طنينه فى أذنيه خاف ابراهيم ، ونقرأ أنه حدثت مجاعة فى الأرض، فأخطأ ابراهيم وذهب إلى مصر.

لماذا ؟ لأنه اهتز ، وبالرغم من أن الرب قال له أن يبقى بجواره عند المذبح فى بيت إيل وأنه سوف يكون رجل الله ومن خلاله سوف تولد أمة ، إلا أنه خاف واتجه جنوباً لأن المجاعة كانت شديدة.

وكل من يرتكب "خطأ الخوف (أو الهلع) " فهذه ببساطة هى الغلطة الأولى وهى تقوده بسرعة إلى ما يليها . وقد كانت الغلطة الثانية هى الكذب بخصوص سارة (تك ١٢ : ١١- ١٣) إذ أقر بأنها اخته.

وكما نعلم نحن أنه سواء كان ابراهيم سوف يعيش أم لا فإن ذلك لم يعتمد على سارة بل على وعد الله . ولكن كما ترى هنا أنك إذا وصلت إلى قصر الفزع فإن محور تركيزك يتحول وتنسى ما قاله الله، وبالتالى تعطى انتباهك إلى ما يقوله البشر (وليس الله) وما يفكرون فيه (وليس المكتوب).

وفى سفر العدد أصحاحى ١٣ ، ١٤ نجد مثالاً لأخطاء الفزع. لقد ذهب الجواسيس العبرانيون إلى أرض الموعد وعادوا منها بتقرير رهيب إذ قال عشرة منهم:لا سبيل مطلقا! فهناك عمالقة فى الأرض ، وبالمقارنة بيننا وبينهم كنا مثل الجراد ، ولكن إثنين منهم قالا إننا نستطيع لأن الله أعطاها لنا فهى بوعد !

لكن الشعب صدق تقرير الغالبية بسبب الخوف الشديد وقرروا عدم التوجه إلى الأرض . لكن ماذا حدث ؟

تاهوا فى البرية أربعين عاماً. لقد صنعوا خطـأ رديئـا ، وتلـك كانت خطية من الخارج وإلى الخارج لكـن مـا سـاعدهم عليهـا هـو انصـاتهم إلى مشورة خاطئة وصدقوها .

وإنى أجد أن الأخطاء بسبب الهلع لهـا دخـل معنـا هذه الأيـام لاسيما بخصوص أمريـن هـامين همـا الحب والمـال . فهنـاك التـى تندفع بسبب خوفهـا أن يفوتهـا قطـار الـزواج فتقـع فـى زواج غـير متكافئ ، أو ذاك الذى يستدين حتى يغرق فى بحر من الديون.

فإذا كنت على حافة إحدى هـاتين الكـارثتين فعليـك أن تجلـس بإحكام وتقف بثبات فالله يعمل تماما ما هو فاعله .

٢ - أخطاء بقصد طيب

والآن نقول إن كل الأخطاء إذا كانت من هذا النـوع فهـى مـن وجهة نظر معينـة أخطـاء بريئـة ، ولكـن دعنـا نجمعهـا تحـت هـذا العنوان ، والخطأ هنا يكون بجهل مع دافع نقى تماماً ، فلاشـك لـك مقاصد طيبة ولكنك تستخدم تخطيطا خاطئا أو طريقة خاطئة .

وتعال بنا إلى موسى فى الأصحاح الثـانى مـن سـفر الخـروج حيث كان عمره أربعين عاما (ولن تجد فى الكتاب المقـدس واحـداً كان عمره أكبر من أن يخطئ) . وهنا أدرك موسى بقدرته الكامنـة لتحرير شعبه من عبودية مصـر ، ولذلـك شـمر عـن ذراعيـة لكـى يقوم بالعمل بنفسه ، ولكنه قتل مصريا وطمره فى الرمل (خر ٢ : ١١،١٢) ، وقد تم ذلك بدافع سليم وهـو انقـاذ العـبرانيين والانتقـام للمتضايقين . ومهما كان الوضع ألم يكن من حقه الدفاع عـن أخيـه العبرانى ؟ ذلك لأن دمه كان عبرانياً رغم أن ثقافته كانت مصريـة ، وكانت رغبته هى الدفاع عن الحق ، لكن مقاصده الصـالحـة أدت إلى مأساة وهى خطية قتل.

ثم ماذا حدث ؟ لقد ظن أن كل واحد سوف يفهم ، وبالمناسبة فهذه خاصية أخرى لهذه الأخطاء ، وهى الشعور بأن كل واحد سوف يفهم .. ولكن تعال بنا إلى ذات القصة عن موسى ولكنها قيلت بعد ألف وخمسمائة عام في مناسبة مختلفة : فظن (موسى) أن إخوته يفهمون أن الله على يده يعطيهم نجاة . وأما هم فلم يفهموا " (أع ٧ : ٢٥).

وبالنسبة لنفسى فلست نبياً وقد ارتكبت أخطاء كثيرة فى حياتى حتى أصبحت خبيراً فى ذلك . وربما بدافع المقاصد الطيبة فإنك تشمر عن ساعديك وتقوم بأشياء جسدية تأتى بالضرر عليك فى النهاية، وكأننا بذلك نقرر أن نتمم إرادة الله ولكن بطريقتنا نحن ، ولكن اعلم أن تلك ليست هى إرادة الله !

أتذكر أنى كنت أقود مجموعة لدراسة الكتاب المقدس وكنا على شكل دائرة وكان عددنا حوالى عشرين فرداً، وكان هناك كرسيان شاغران ثم ظهر رجل ومعه سيدة تكبر عنه حوالى عشرين عاماً ، وهنا قلت لهما على الفور : تستطيع أنت ووالدتك أن تجلسا هنا .

لكن اتضح أنها زوجته ! وقد تركا المكان بعد قليل.

نعم لقد كان قصدى طيباً لكنى تمنيت لو قطع لسانى ولا أجرح شعور هذه السيدة . نعم نحتاج أن نفكر أكثر ونتكلم أقل.

٣ - أخطاء الإهمال

أيها الأعزاء إننا نعانى من أخطاء الاهمال والسلبية ، ونجدها كثيراً فى الكتاب المقدس مرتبطة بالمنزل أو بدور الأب . ومثل هذه الاخطاء هى نتيجة الكسل أو السهو أو التضارب أو مجرد نقص التأديب.

وإليك مثال ، ولعلك تصدم لأنى أقصد داود ونقرأ هكذا :

"ثم إن أدونيا ابن حجيث ترفع قائلاً (حجيث هذه كانت واحدة من زوجات داود ، وعندما تدرس نسب داود سوف تكتشف أن هذا الرجل كان مذنباً بتعدد زوجاته ، وقد حسبت ١٨ زوجة وربما كان هناك أكثر وبعضهن لم يذكر أسماؤهن) أنا أملك وعدّ لنفسه عجلات وفرساناً وخمسين رجلاً يجرون أمامه . ولم يغضبه أبوه قط قائلاً لماذا فعلت هكذا ؟" (امل ١ : ٥ ، ٦). وهذا مثال التهاون السلبى .

كان أدونيا عاصيا منذ ولادته ، وتربى عاصياً، ولما وصل إلى سن المسئولية رفض أن يكون مسئولاً ! بل عصى قائلاً إنى سوف أصير ملكا ، وهناك جزء من المشكلة على الأب الذى لم يعارض ابنه قط ولم يقل له " يا ابنى إنك تميل إلى العصيان وأنا كأب مسئول عن إصلاحك وتهذيبك حتى تستطيع أنت السيطرة على نفسك " . لكن داود كان مثل آباء كثيرين فى شدة مشغوليته ولذلك كان مهملاً . وهذا خطأ شائع بين الآباء الناجحين والذين يصلون إلى مراكز عالية .

لقد كتب بنيامين فرانكلين هذه الكلمات الصائبة :

"إن الاهمال الصغير قد يؤدى إلى الأذى ، فالحاجة إلى مسمار قد تؤدى إلى فقدان الحذاء ، والحاجة إلى الحذاء قد تؤدى إلى فقدان الحصان ، والحاجة إلى الحصان قد تؤدى إلى ضياع الراكب "

وهذا هو أسلوب الاهمال .

٤ – أخطاء حب الاستطلاع المفرط

ربما يكون هذا النوع من الأخطاء الخمسة هو أكثرها جاذبية للشباب وإن لم يكن هو مشكلتهم الوحيدة . وربما يتعلق حب الاستطلاع المفرط إلى المشاعر أو إلى الأرواح.

إن كل عالم حب الاستطلاع هو من وجهة نظر معينة جزءاً خلاقاً فى حياتنا ، ولكننا نتعرض إلى المشاكل إذا زاد هذا الأمر عن حدوده المعقولة .

ونجد فى سفر صموئيل الأول أصحاح ٢٨ ملكاً قد فقد ثقته وقوته ، ولما مات صديقه صموئيل طلب الملك أن يتحدث إليه ولو بوسيط روحانى ، فتنكر وأخذ معه رجلين آخرين وزار إمرأة عرافة ليلاً ، وهى التى تتعامل مع العالم السفلي. وربما بدأ الأمر بالنسبة لشاول من مبدأ حب الاستطلاع (وهو خطأ مكلف) ولكنه قاده إلى خطية مرعبة كانت جزءاً من سبب موته فى النهاية (١أخ ١٠ : ١٣ ، ١٤).

٥ – أخطاء النقط السوداء

(أخطاء عدم الروية أو المعرفة الصحيحة)

وهذه هى الأخطاء التى نكررها مراراً ، ونرتكبها بسبب الجهل أو العادة أو مجرد ضعف التأثير الأبوى ، ولذلك نعمى عن الحق ونعثر فى مثل هذا النوع من الأخطاء مرة بعد الأخري.

إن الجزء الأخير من الأصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال هو سرد لنزاع كان بين إثنين تقيين هما شاول وبرنابا ، وكان يوحنا مرقس رفيقاً سابقاً لشاول قبلما يتركه فى إرساليته الأولى ، ولكن لما استعد للرحلة الثانية كان الرسول بولس يناقش الأمر مع برنابا الذى اقترح أن يأخذا يوحنا مرقس معهما ، بيد أن بولس اعترضه تماماً ورفضه.

كان يوحنا مرقس بالنسبة لعقلية بولس أنه غير نافع وقد اعتبره فاشلا ومحطماً أو شوكة لا تنفع وصاحب نقطة سوداء

ضعيفة بالنسبة للآخرين ، وهنا أخطأ الرسول ، ولكنه أقر فيما بعد أنه كان نافعاً له فى خدمته (٢تى ٤ : ١١).

وربما هناك مثال أكثر وضوحاً فى (غل ٢ : ١١- ١٥) حيث نجد أن القديس بطرس (ويدعى "صفا" فى هذا الجزء) كانت له نقطة سوداء بالنسبة لمسألة النعمة لاسيما فيما يتعلق بطعامه . فعندما كان اليهود يحيطون به كان يأكل فقط ما تسمح به الشريعة اليهودية بينما كان يأكل كل شئ مع الأمميين ، بمعنى أنه لم يمتع نفسه بكل مزايا النعمة .. ولكن ما كان أسوأ هو أنه وقع فى أسلوب الرياء وبلا شك كان يبرر الناموس او الحرية وأيهما كان ضرورياً له .

هنا الخطأ ، ولما رآه القديس بولس " قاومه مواجهة " ولكن الكتاب لم يسجل رد بطرس، وربما قد نتصور مقدار ارتباكه . ولابد أن نلاحظ أن مثل هذه الأخطاء تكون واضحة جداً لكل واحد ماعدا الضحية !

ومن بين الأخطاء التى نرتكبها فإننا نبرر هذا النوع بالذات ، ونقتنع بأننا قد فعلنا الصواب تماماً .

مزمور (بلسان) يعالج المخطئ:

أعتقد أن داود قد كتب مزمور ٣١ فى يوم عصيب فى حياته، لأننا عندما ننظر إليه نجد أنه كان منكسراً ويائسا ، وغالبا قد كتبه فى أعقاب خطأ ما ربما حدث بسبب فزعه ، أو ربما كان خطأ له دخل ببيته ، أو ربما بعد فكرة خاطئة ، ولذلك قال :

"عليك يارب توكلت لا تدعنى أخزى مدى الدهر بعدلك نجني. أمل إلى أذنك . سريعا أنقذنى . كن لى صخرة حصن بيت ملجأ

لتخليصى . لأن صخرتى ومعقلى أنت . من أجل اسمك تهدينى وتقودنى .. فى يدك أستودع روحى فديتنى يارب إله الحق " (مز ٣١ : ١ - ٣،٥).

ولعل هذه الكلمات مألوفة لنا لاسيما الأخيرة منها والتى نطق بها الرب يسوع فى الجلجثة فى أضعف أوقات حياته جسدياً وعاطفياً . ولكن دعنا نطبق كل هذا على الفترات التى تعقب وقوعنا فى الأخطاء ونشعر فيها بالاكتئاب.

وسوف تكتشف أن بعد العواقب المؤلمة لفعل الخطأ أنه لا سبيل لك إلا أن تستودع روحك لله فى ذلك الوقت حيث أنه لا يوجد سواه يعطيك الراحة التى تحتاج إليها ، ولذلك ليتك تركع على ركبتك بعد أى خطأ وانكسر أمام الله واصرع خزيك أمامه . ولا أحد سواه يستطيع أن يشفيك من إحساس العار والفشل الذاتي، كما أنه لا يستطيع أحد أن يفهمك مثل الرب يسوع .

ومن هذا المنطق ، دعنا نراقب كيفية نظرة الله نحونا عندما نفعل مثل هذه الأخطاء .

"أبغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة . أما أنا فعلى الرب توكلت . أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذلتى وعرفت فى الشدائد نفسى " (٣١ : ٦ ، ٧).

أولاً : إن الله ينظر إلينا بواقعية . ومن المهم جداً والمفيد لنا أن نتذكر بأن الله ينظر إلينا كما نبدو فى الواقع ، وربما نجتهد أحياناً لكى نحفظ الحقيقة عن الناس الآخرين خوفا من عدم فهمها ، كما أننا نبذل قصارى جهدنا بكل ما لدينا من طاقة نفسية لكى نخفى حقيقة نفوسنا عن بعضنا البعض.

قال مرة " مارك توين" إن كل واحد منا مثل القمر له وجه مظلم لا يريه أبداً لأى شخص. لكنه الله يعرف ذلك الوجه المظلم ويراه بوضوح.

وقال داود ما معناه " إنى ابتهج لأنك واقعى ، لاسيما يارب عندما ترانى ، لأنك تعلم إعوجاجى ، وتعلم ميولى وإحساسى بالهلع والخوف ، وتعلم كيف نشأت والعادات السيئة التى التقطتها وتعلم كل سجلاتى كما أنك تعلم مقاصدى لا مجرد أعمالى ، وقد رأيت ضيقي".

وثانيا : إن الله يرانى بالكامل : "لأنك نظرت إلى مذلتى وعرفت فى الشدائد نفسى " (مز ٧:٣١).

وهنا كما ترى أن الشدائد لها دخل بالأمور الخارجية والمتاعب لها دخل بالأمور الداخلية ، وكأنه يقول : "يارب أنت ترى عالم الشدائد كما أنك تشعر معى بتعبى فى داخلى " . وليتنا نتذكر هذه المقولة العظيمة عن قلب مخلصنا المتفهم لنا : " لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا" (عب ٤: ١٥).

وهناك راحة كبرى فى هذه الكلمات ! ولكن هل سبق أن قرأت العددين السابقين لهذه الكلمات ؟ إن العدد الثالث عشر يقول إنه لا شئ يخفى عن نظر الله بل كل شئ عريان أمام عينيه ومع ذلك فإنه لا يزال يرثى لنا ! ودعنى أخبرك بأن هذا الأمر يملأنى تشجيعاً وأنا متضايق خارجياً ومتعب داخلياً ومعرض للخطأ ، لكنه يعرف كل شئ ! يقدر ضعفى .. يرحمنى ويرثى لى دائما.. بمجرد إنحناء قلبى أمامه.

وإن كان الله يرانا بواقعية وبالكامل ، فكيف يتعامل معنا إذن؟

"لم تحبسنى (تسلمني) فى يد العدو" (مز ٣١ :٨).

إنه لا يرفضنا ! وهذا أقسى ما نخاف منه كما أعتقد لاسيما عندما نقترف الخطأ . وإذا كان خطأ سيئاً فإننا نخاف بصفة خاصة من الرفض الإلهى ولئلا يقول الله لنا : " هذا يكفى ، اذهب بعيداً . انتهى الامر !"

بيد أن داود قال : ".... بل أقمت فى الرحب رجلى " .

ولا يعنى ذلك أن قدمه كانت كبيرة بل يعنى أن الله أعطاه مكاناً برحاً دون زحام.

ولعلك تلاحظ دائما أنه كلما حاولت أن تجد راحة صار الناس يزحمونك ، ويحكمون عليك الرباط ويضعون القيود حولك ويحددون لك الوقت أو يذكرونك بأى التزام آخر. وقد قال داود هنا:

"يارب إن عندك الرحب وأنت تعطينى مكاناً متسعاً "

إنى أريدك أن تعلم بأن أبانا السماوى لا يقلق ،وهو هادئ ومستقر بينما تعود أنت إلى صوابك ، وهو يعلم ما يصنعه ، أفلا يريحك ذلك ؟ لاشك أن هذا يسهل عليك الاتكال عليه ، ولا عجب إذن من قول داود : أما أنا فعليك توكلت " (١٤) .

لكن ماهى تعليماته لنا فى مثل هذه الأوقات؟

١ - إنه يرشدنا فى جو الثقة لا الشك:

"عليك يارب توكلت " ، فإذا حولت موقفك إلى إنسان فهناك شك بأنك سوف تخطئ مرة أخرى والإنسان يحمل باستمرار تحذيرات متعددة وله عظات كثيرة كما أنه يوجه أصابعه نحوك قائلا : كان يجب عليك أن تلاحظ هذا ... لكن الله يرشدنا فى إطار الثقة بعيدا عن التشكك.

٢ - إنه يرشدنا مدى الحياة وليس فى الأوقات السارة فقط:

هل تشعر بالخزى أو الارتباك أو الفشل أو الذل أو الخسارة ؟

إن أوقاتك كلها فى يديه ، وهو يرشدك فى الأوقات السيئة تماماً كما فى الأوقات الطيبة . ولذلك قال القديس يعقوب : "أحسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة " (يع ١: ٢) - وفى ترجمة أخرى جاءت بمعنى احسبوا التجارب المتنوعة لا دخيلة عليكم بل كأنها أصدقاء لكم.

٣ - إن الله يرشدنا فى الأماكن السرية وليس علناً :

"ما أعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك وفعلته للمتكلين عليك تجاه بنى البشر . تسترهم بستر وجهك _ أى تحفظهم مختبئين فى المكان السرى لمحضرك - من مكايد الناس . تخفيهم فى مظلة (سرادق - جناح) من مخاصمة الألسن " (مز ٣١ : ١٩ ، ٢٠)

إن أفضل الأمور التى نتعلمها من الأخطاء تتم فى السر ، لأنه هناك يخبرنا الله بأسراره ، وعندما يفعل ذلك فإنه يغطينا برحمته وبتفهمه لنا .

هناك ملصقات كثيرة ومنها ما يقول : " إن المؤمنين ليسوا كاملين ولكنهم مغفورون فقط " ، وإن كنت لست من محبى تعليق هذه الملصقات لكنى أحب الملصق السابق والذى شاهدته قريباً ليس على سيارتى بل على سيارة كانت تتذبذب على الطريق السريع الأسبوع الماضى ،وكان واضحاً أن الشاب قائد السيارة هذه كان متأخراً وثائراً عندما تعقب سيارتى ، فأفسحت له الطريق ودلف هو بسرعة على يسارى ، ولكن فى ذلك الوقت بالذات تقدمت أمامه سيارة أخرى مسرعة ، ولكى يتفاداها فقد انحرف بسرعة أمامى

فضغطت بشدة على الفرامل وبالكاد تفاديت الصدام معه . وهنا نظر نحوى من خلال المرآة العاكسة ولوح لى بيده معتذراً وقد لمحت هذا الملصق على مؤخر سيارته ، وقد كان فى وقته تماماً ، ثم أدركت أنه عرفنى وقد كان واحداً من أعضاء كنيستنا فابتسمت له ثم قلت له من خلال النافذة : " تذكر أنك من المغفورين " فارتاح لهذا الكلام وبادلنى ابتسامته .

نعم، إن صيرورتنا مؤمنين لا يمحو عدم كمالنا فإننا لا نزال نخطئ ، وربما أخطاء دراسة، ولكن شكرا لله لأن الغفران يعطينا الرجاء ، ومازلنا فى حاجة إلى المزيد من ذلك . وبالطبع كوننا قد نلنا هذا الامتياز الرائع... الغفران يلزمنا هذا أن :

أ - نجاهد حتى لا يستمر ارتكابنا للخطأ

ب - نغفر أيضا للآخرين.

الفصل التاسع

الدونية

الضربة المعدية
لعدم الثقة بالنفس

ذهب أحدهم إلى المحلل النفسى ، ولما سأله الطبيب عن سبب الزيارة ، قال الرجل :"إنى أعانى من عقدة الشعور بالنقص (الدونية) ".

ثم اجتاز المريض فى اختبارات متعددة ، وفى النهاية استدعاه الطبيب وقال له :

- عندى لك أخبار سارة .

- ماهى يا ترى ؟

- لا يوجد عندك عقدة ، ولكنك ناقص فعلاً كما تشعر فى نفسك .

ولا عجب أن البعض منا يشعر كثيراً بأنه أقل من الآخرين . وكان " أبراهام لنكولن " خاطئاً عندما قال إن كل الناس ليسوا مخلوقين سواء من جهة الامكانات الجسدية أو العقلية . ولكننا نملك مواهب طبيعية أكثر مما يحتاجها معظمنا .

وعلى سبيل المثال ، هل تعلم أن هناك قوة ذرية فى جسم الإنسان الواحد تكفى لتدمير مدينة كبيرة؟ لقد أخبرنى عالم متفوق عن بعض الحقائق المدهشة بخصوص قوة العقل البشرى وقال لى: "لعله من المستحيل أن نحسب هذه الظاهرة العقلية ، ولكنى بحسب تصورى لواستطعنا أن نقيم جهازاً إلكترونياً (كومبيوتر) يستطيع أن يقوم بما يقوم به العقل البشرى ، فذلك سوف يكون مبنى يقرب من مساحة مدينة كاملة فى طولها وعرضها ولا يقل إرتفاعه عن إثنين وعشرين طابقاً ".

إن قوة الجسم والعقل البشرى شئ لا يصدق ، ولكن بالرغم من ذلك فهناك الذين يتقوقعون فى الدونية والجبن.

وقبل النظر إلى حياة ثلاثة رجال فى الكتاب المقدس - إثنان منهم كانا لهما هذه المشكلة ولم يتغلبا عليها ، وواحد كان يمكن أن يعانى منها لكنه لم يسمح لها بذلك - دعونا نقف أمام بعض الملاحظات العامة القليلة عن عقدة النقص.

بعض الملاحظات المفيدة

وأول هذه الملاحظات أن مشاعر الدونية لا دخل لها بالذكاء . وهناك دراسات كثيرة على سلوك الانسان وما يتعلق منها بالذكاء ، واتضح أن الأذكياء جداً _ معامل الذكاء يزيد على ١٣٠ درجة (يعانون من هذه المشاعر أكثر من الذين لهم ذكاء اقل منهم! والواقع أنهم يعانون بدرجة كبيرة عن الآخرين ، بينما الحاصلون على معامل ذكاء أقل يعانون قليلاً من مشاعر النقص.

والملاحظة الثانية هى أن هذه العقدة لا تلاحظ عادة على السطح لأن الناس يخفونها بطرق كثيرة ومثيرة .

ومن الأغطية المعتادة (لإخفاء هذه العقدة) هى اكتساب المصاب لنوع الشخصية التى ندعوها عادة بعقدة العظمة ، وهو المفتخر الذى يبدو دائما على قمة كل شئ ، ومثل هؤلاء لهم صور متدنية عن ذواتهم لكنك لا تلحظها بسهولة .

وهنـاك قنـاع آخـر وهـو التهكـم . وأسـلوب السـخرية لا يعـدو سوى تغطية أو تعويض لمشاعر النقص.

والملاحظة أو التوضيح الثالث أن هذا ليس مقصوراً على غير المؤمنين ولكننا نحن المؤمنين نصارع المشاكل كما يفعل غيرنا من غير المؤمنين وربما أكثر قليلا.

أعرف شاباً كـان محترفـاً لكـرة السلة ولـم يكـن مـن الخمسـة الأوائل وربما كان السادس أو السابع وكـان مميزاً فـى لعبـه وكـان عضواً فى إحدى الكنائس التى خدمت بها منذ سنوات.

ولا أنسى أننى طلبت منه مرة أن يقودنا فى الصـلاة ، ولـم أر فى حياتى رجلا يصارع مثله عندما يصلى ولم يكن الاجتماع كبيراً بل مجرد مجموعة صغيرة.

وقد طلبنى بعد نهاية الاجتماع وقـال لـى : "أرجـو منـك أن لا تفعل ذلك مرة أخرى ".

كان العرق يتصبب من جبينه واحمرت رقبته وكـان فـى شـدة الارتباك حقاً . واستمر يخبرنى أنه كان يعانى من مشاعر النقص. ولقد تعجبت حقاً من هذا النجم صـاحب المظهر الحسـن والشـعبية والمواهب المتعددة ، وقد كان هذا الشعور هو السر المخفى عنه فى الكنيسة فقط!

وأتذكـر صديقـاً آخـر كـان مقيمـاً بالكنيسـة التـى كنـت أرعاهـا سابقاً، وكان بطلاً فى كرة السلة وقائداً لإحـدى الفرق فـى الكليـة ، ولكنه كان يندفع بعيداً عن رؤية النـاس فـى حياتـه العاديـة حتـى لا يراه أحد ، وقد علمت أنه كان يحاول جاهداً لكى يتغلب على مشكلة الشعور بالنقص.

وهكذا كما قلت سابقاً إنها مشكلة لا تبدو واضحة باستمرار ، ولعلك ترى أناساً من الأفراد العسكريين أو الأبطال الذين يجدون راحة عظمى وسهولة عندما يعملون بعيداً عن الأنظار لكنهم لا يستطيعون الاتصال المباشر بالآخرين . وهنا تكون الدونية هي الوحش المختبئ داخل صدور هؤلاء الناس.

ثلاث شخصيات كتابية تعرضوا لعقدة النقص

موسى :

بينما نحتفظ في أذهاننا بالملاحظات السابقة ، دعونا نلقي النظر على شاب – عمره ثمانون عاماً (حتى لا يشعر آخر بالدونية من جهة العمر) ، ولابد أنك لا تتوقع أن موسى كان يعاني من مشاعر النقص ، ولكن هذا ما حدث بالفعل ، وقد أحس بذلك بسبب خلفية الفشل التي عاني منها ، وعادة أن الشعور بالذنب يغذى الشعور بالنقص . وربما يكون أمراً قد فعلته أو شيئاً تشعر بعدم إمكانية إصلاحه ثم تقرر بأنك تعيش حياتك بهذا الثقل من الفشل مستقراً على كتفيك.

وهذا هو موسى كما نجده في الأصحاح الثالث من سفر الخروج بعدما قتل المصرى وترك مصر إلى صحراء مديان ، وهناك عاش مع حميه وحماته وزوجته وثلاثة من الأبناء .... وهكذا كأنه نسى كل شئ ولم يعد يراه أحد من شعبه لمدة أربعين عاماً. وقد تثبتت في أعماق رأسه مشاعر النقص (خر ٣ : ١ – ١٠).

وكل ما سمعه موسى آنذاك كان : "هلم فأرسلك " ، ولكنه بدأ فوراً يفكر في عدم أهليته وعدم ثباته واهتزازه وهو صاحب الثمانين عاماً ومضى نصفهم وهو يظن أنه قد " فشل" ولذلك لم يشعر أنه قادر على ذلك العمل.

ثم لا نقرأ بعد ذلك عن التواضع بل عن الفشل أو " الدونيـة" ، وهذا الشعور يختلف عن شعور التواضع ، فـالمتواضعون فـى كـل أنحاء الأرض لهم أعلـى درجـة مـن الثقـة فـى اللـه ، وهـى شـعور هادئ وثقة داخلية أكيدة من أن الله سوف يفعل ما يعد به .

بينما كنت أقوم حديثاً ببحث كتـابى عـن موضـوع التواضـع والخدمة ، اعترضتنى مقولة هامة قالها القديس بولس مرتيـن إلـى أهل كورنثوس ، فقال عن أهمية التواضع ما يلى :

"لأنى أحسب أنى لم أنقـص (لسـت أدنـى أو أقـل) شـيئاً عـن فائقى (أبرز) الرسل " (٢كو ١١ : ٥).

ثم كرر الكلام ذاته فـى الأصحـاح التـالى (١٢ : ١١)، ومـن ذلك يتضح أن التواضع لا يعنى الدونية .

ولكن تعال لكى نرى إجابة موسى كما يلى :

"من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل مـن مصر ؟" (خر ٣ :١١).

وكأنه كان يقول لله :" لا أسـتطيع الذهـاب لأنـى لسـت مؤهـلاً لذلك " ، وكأن هذا السؤال يختص بقوة الله وبقدرته لاختيـار القـائد مع أن الله قد وعد بمعيته معه كما يلى :

" إنى أكون معك وهذه تكون لـك العلامـة أنـى أرسـلتك حينمـا تخـرج الشـعب مـن مصـر تعبـدون اللـه علـى هـذا الجبـل " (خر ٣:١٢).

وربما تتوقع أن موسى سوف يصدق اللـه فـوراً ويقبـل العمـل بسرعة ويتجه إلى مصر، لكنه لم يفعل بل قال هكذا :

"هاهم (أو ماذا لو أنهم) لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي "
(خر ٤ : ١). .

أين كانت عينا موسى عندئذ ؟ على نفسه هو . وكان يقول :
"أقصد يارب عندما آتي أمامهم بهذا الخبر أنه سوف يكون هناك تحرير لهم لكنهم لا يصدقون ، وماذا لو أنهم شكوا كذلك أنك قد كلمتني ؟ "

وهنا أجابه الرب هكذا :

"ما هذه في يدك ؟ فقال عصا، فقال اطرحها إلى الأرض "فطرحها إلي الأرض فصارت حيه "

وهذه هي قوة الرب ، وكأنه يقول له : " لا تنظر يا موسى إلى نفسك ، فإذا كنت قادراً أن أحول العصا إلى حية ثم أعيدها عصا مرة أخرى فإني قادر أيضا أن أغير قلب فرعون" . وكان الله مقتنعاً بأن موسى هوالرجل المناسب .

"ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها . فمد يده وأمسك به فصارت عصا في يده . لكي يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب إله آبائهم إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب" (خر ٤ : ٤ ، ٥).

لكن موسى قاوم ولم يضع ثقته في الله .

"فقال موسى للرب استمع أيها السيد . لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقيل الفم واللسان ".

وهل يمكن أن تتوحد مع موسى في هذا الكلام (عدد ١٠) ؟ ولعلنا نسمع كثيراً من الآخرين هكذا : "أرجوك الآن أن لا تطلب

منى ذلك لأنى لا أجيد حقاً الكلام " أو "إنى لست من الأشخاص الذى يستطيعون الوقوف أمام الآخرين".

إن عقدة النقص هى الخداع الشيطانى الذى يمنع شباباً كثيرين عن الخدمة المسيحية المهنية لأنهم يظنون أنه يجب أن يكونوا من المفوهين فى الكلام . ولم يطلب الله من موسى أن يكون هكذا أبداً، بل قال له :

" من صنع للإنسان فماً أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ؟ " (خر ٤:١١) . بمعنى قوله لموسى : أنا الذى أتحمل كل المسئولية لأنى أنا الذى صنعت لك لسانك " ثم يقدم هذا الوعد له كما يلى :

"فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به " أى أن الله سوف يغير عجزك ويؤكد بما تتكلم به ، فالعجز لا يعنى عدم التأهيل .

إرميا :

إننا عادة نعتقد بأن أنبياء الله لم يشعروا قط بالدونية أو بعدم الكفاءة ، لكن إرميا شعر بشئ من ذلك .

ومرة أخرى نجد هنا رجلاً لم يكن متواضعاً فحسب بل كان يشعر أيضا بالنقص.

"فكانت كلمة الرب إلىّ قائلا : قبلما صورتك فى البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب " (ار ١:٤،٥).

ولما سمع إرميا هذه الكلمات أجاب هكذا : "آه يا سيد الرب ! إنى لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد " (إر ١ : ٦).

وهذا عين ما قاله موسى ! ولماذا بمجرد أن يضع الله يده على إنسان ما فإنه يقول عادة إنى لا أعرف الكرازة ؟.وهل هذا هو الأسلوب الوحيد الذى يستخدم به الله الناس ؟

ولعلك تسمع صوت ركبتى إرميا وهما تصطكان وهو يقول : إني ولد أو شاب صغير! وكان يعلم أنه سوف يُرسل إلى شيوخ الأرض وهو لم تكن له موهبة خارقة أو حكمة نادرة يستطيع أن يربح بها الآلاف .

لكن الله قال له : " لا تقل إني ولد لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به " (أر ١: ٧).

وياله من علاج قوى !

" لا تخف من وجوههم لأنى أنا معك لانقذك فلا تخف . " ومد الرب يده ولمس فمي وقال الرب لى ها أنا قد جعلت كلامى فى فمك" (إر ١ : ٩) .

إن هذا ليس كلاماً للثرثرة بل إنه يحدث فعلاً، فعندما تذهب لتتكلم برسالة الله فإنك تتكلم بكلمات الرب وهو الذى سوف يضع كلماته هو وليس كلماتك أنت فى فمك.

قال أحدهم إن الفرق بين الذى يخدم (يعظ) بالجسد وبين الذى يخدم بالروح هو أن الأول عليه أن يقول شيئاً ما ، بينما الثانى عنده شئ ما يريد أن يقوله .

لقد تحدث إرميا بكلام الرب ، وكان يمكنه لشعوره بالنقص أن يبطل خدمته .

عـامـوس :

ولنـأت الآن إلـى رجـل غير معلـوم كثيراً اليـوم ، وهـذا هـو عاموس. وأريدك أن تقدر هذاالرجل لأنه لم يكن متقفاً مثـل إشـعياء أو دانيال أو حزقيال ، ولم يكن له تدريـب علمـى رسـمى ، بمعنـى أنه كان يملك أسباب شعوره بالنقص . ولعلى أهتم به لأنــه لـم يكـن جذابا ولم تكن ملابسه فخمة وبالتـأكيد لـم يكـن طلـق اللسـان ، ولـم ينشأ فى بلاط ملكى مثل سليمان.

كـان عملـه الـذى يعيش منـه هـو جمـع الجميز ، ولعـل ثمــرة الجميز تشبه كثيراً التين، ولكنها تصبغ اليد .

كان عاموس بلا مؤهلات ، ولكنه كان يقـف فـى بـلاط الملـك بملابسه الرثة ويعظ الشعب هكذا:

فأرسل أمصيا كاهن بيت إيل إلى يربعام ملـك إسـرائيل قـائلا: قد فتن (تآمر) عليـك عـاموس فـى وسـط بيـت إسـرائيل . لا تقـدر الأرض أن تطيـق كـل أقوالـه ، لأنــه هكـذا قـال عـاموس : يمـــوت يربعام بالسيف ويسبى إسرائيل عن أرضه " (عا ٧: ١٠ ، ١١).

كانت هذه هى رسالته التى لا عزاء فيها ، وهناك كان الكــاهن بملابسه الجميلة وصاحب اللسان المنطلـق وأمامـه عـاموس بوجهـه العابس ويديه الملوثتين بلون الجميز ، وعندئذ " قال أمصيا لعــاموس

أيها الرائى اذهب اهرب إلى أرض يهوذا وكل هناك خبزاً وهناك تنبأ "(عاموس ٧: ١٢).

ولاحظ أن الكاهن يطرده شرطرد !

"فأجاب عاموس وقال لأمصيا : لست إنا نبياً ولا أنا ابن نبى بل أنا راعٍ وجانى جميز . فأخذنى الرب من وراء الضأن وقال لى الرب اذهب تنبأ لشعبى إسرائيل " (عا ٧ : ١٤ ، ١٥).

أين كانت عنيا عاموس هنا ؟ نحو الرب .

لم يطلب عاموس هذا العمل من ذاته لكن الله هو الذى دعاه إليه وقال له اذهب تنبأ لشعبى إسرائيل .

واستمر عاموس فى أقواله هكذا :

"فالآن اسمع قول الرب . أنت تقول لا تتنبأ على إسرائيل ولا تتكلم على بيت اسحق . لذلك هكذا قال الرب امرأتك تزنى فى المدينة وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف وأرضك تقسم بالحبل وأنت تموت فى أرض نجسة وإسرائيل يسبى سبياً عن أرضه " (عا ٧: ١٦ ، ١٧).

لم يتزحزح عاموس ، وكل ما قاله إنه لم يسع إلى العمل بل الله هو الذى دعاه ، ولم يمتدح شيئاً سوى دعوة الله له ، وبالرغم من أن عاموس كان له كل مسببات الشعور بالنقص إلا أنه لم يشعر بذلك .

وأعتقد الآن أنى أوضحت ما أريد إلى أقصى حد، والدرس هو أنه طالما تركز نظرك على ذاتك فإنك لن تنعم بالنجاح بعدما

تخرج من منزلك صباحاً ، لأن العمل يبدو فى غاية الصعوبة ، ولكن إذا كان نظرك مثبتا على الرب فإنك تستطيع أن تخطو بنجاح فى حياتك محتفظا بقلبك مع الرب تماما كما فعل عاموس . ومهما كان العمل شاقاً فإنك قادر عليه .

وجهة النظر الكتابية:

لا يقف الأمر عند هذا الحد، بل لابد من معرفة بعض الأمور الأخرى ، كما أننا نحتاج لكى نعرف كيفية تقييم الله وتقديره لنا . وسوف نقف أمام بعض الاعتبارات فى العهد الجديد عن مبادئ فكر اله من جهتنا نحن أولاده.

" انظروا إلى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها . ألستم انتم بالحرى أفضل منها؟ " (مت ٦ : ٢٦).

والمقصود هنا هو أنك (أنت وأنا) أفضل بالنسبة لله من غيرنا من المخلوقات . وإن كان الرب يسوع يعلمنا هنا عن القلق لكن هناك حقائق أخرى ، فإن كان يهتم ويعول عصفوراً صغيراً فى السماء ، أفلا تكون أنت مستحقا لمثل هذا الاهتمام أكثر من ذلك الطائر الصغير الضعيف؟

إنك ذو أهمية خاصة لله ، كما أنك أفضل كثيراً حتى أنه أرسل ابنه لكى يموت من أجلك . وفى كل مرة تعود وتفكر أنك غير مستحق وضئيل، تذكر أنك موضع اهتمام وحب الله . ولو لم تكن هناك خطاياى وخطاياك لما كانت الحاجة إلى مخلص، وقد أحبك الله هكذا حتى أنه أرسل ابنه ،وهو يطلب أيضا تعبدك له (يو ٤ : ٢٣) ويفرح لأنك من أولاده.

ودعنا ننظر إلى طريقة أخرى يرانا بها الله، ونتعلم بأننا عمل الله كما نقرأ فى الرسالة إلى أفسس :

" لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق فأعدها لكى نسلك فيها " (أف ٢ : ١٠).

إن الله يهتم بنا كأفراد ، ولا يوجد إثنان منا متشابهان ، وهو يعرف كل واحد منا شخصياً كما أنه يعمل مع كل منا على حدة أى معك أنت بالذات. وأشعر بابتسامة خاصة منى وأنا أكتب هذا الكلام.

والعمل مستمر كما يقول أيضاً :

"واثقاً بهذا عينه أن الذى ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح " (فى ١ : ٦)

فالذى بدأ هو يكمل ، والفكرة هنا هى " التكميل " بمعنى أنك عبارة عن مشروع للإله الحى لم يكتمل بعد . فهل فكرت فى هذا ؟ وليت الذين يقرأون هذا يدركون حاجتهم إلى الصبر . بالنسبة لى ، فالله سوف يكمل العمل لكنه لم ينته منه بعد.

والشخص الذى تسوده مشاعر النقص يعتقد أنه ليس صالحاً كما يجب ، ثم يقوم فى ذهنه بعرض سريع لأسماء أناس آخرين ربما لا يستطيع أن يكون مثلهم ، وينسى أنه هو شخصياً جزء من عمل الله . وهكذا تدور عيوننا فوق ما حولنا مقارنين أنفسنا بغيرنا، مع أن الله يتعامل معنا فردياً ولم ينته بعد .

ثم يقول :

"لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (فى ٢ : ١٣).

ودعنا من التعاليم اللاهوتية فى هذه الآية ، فإن الجزء الأول منها هو الذى يثير إهتمامى : " الله هو العامل فيكم".

وأرجو أن تكون لنا نظرة طويلة إلى كلمة الله قبل أن نقدر قيمة أنفسنا ، فأنت أمام الله شخص مهم جداً . وليس هذا من باب علم النفس الصحيح ، ولكنه تعليم كتابى سليم وصالح ، فالله أرسل ابنه لأنه أحبك أنت ، وحيث أنه يعمل فينا كأوانى خاصة له فهو يستطيع أن يعيد تشكيلنا (رو ٨ : ٢٩).

وبما أنه لم ينته بعد من العمل معنا ، فماذا لو أنك اعتبرت نفسك مع الله تكوّنان فريقاً واحداً ؟ وبدلاً من التسابق مع شخص آخر فكر فى نفسك والرب يسوع المسيح فى علاقة تعاون ، وبدلا من الركض ضد عمله عليك أن تتعاون معه فى عمله لأنه لا يزال يعمل .

انظر إلى نفسك مثل الحجر الكريم الثمين ، والله يعمل به لصقله وتنعيمه ، حتى يصبح مستعدا للخطة الكاملة المعدة لك . ولا شك أن هذه العملية تكون مؤلمة فى بعض الأحيان . والشخص الذى يشعر عادة بالدونية هو الذى يركز على الجزء الذى لم ينته العمل فيه بعد أكثر من تركيزه على الجزء الذى أكمل أو قد تم تشكيله.

إن الله لا يزال يعمل بك ولم يتمم عمله حتى الآن ، وتذكر أن المفتاح هو : "الصبر" !

الجمال فى الجسد

إن جسد المسيح هو عائلة الله بأكملها على الأرض اليوم فى كل العالم . وكل مؤمن مولود من الله فى المسيح هو عضو فى

ذلك الجسد الكبير. والمسيح هو الرأس ، وبعضنا هو الأذرع أو الأصابع أو أجزاء أخرى من أعضاء الجسد، وبعضها يُرى والبعض الأخر لا يرى ، ولكننا جميعا نكوّن معاً هذا الجسد العظيم وهناك جمال فى هذا التنظيم .

وفى ضوء هذا الفكر حاول أن تقرأ ما يلى :

"فإن الجسد أيضا ليس عضواً واحدا بل أعضاء كثيرة . إن قالت الرجل لأنى لستُ يداً لست من الجسد ، أفلم تكن لذلك من الجسد ؟ لو كان كل الجسد عيناً فأين السمع ؟ لو كان الكل سمعاً فأين الشم ؟" (١كو ١٢ : ١٤ - ١٧).

هل تتخيل جسداً عبارة عن عين كبيرة أو أذن ضخمة ؟ فأين إذن الجمال ؟ وأين الصورة الكاملة ؟ سوف لا يكون لها وجود بعد.

استخدامات الجسد

"وأما الآن فقد وضع ا الأعضاء كل واحد منها فى الجسد كما أراد " (١كو ١٢ : ١٨).

وهذا أمر هام ، فقد جعلك الله أصبعاً لأنه أراد لك ذلك ، أو ربما جعلك ذراعاً لأنه أراد أنك تكون ذراعا، أو قدماً توضع فى الحذاء ولا يراها أحد لأنه أراد لك ذلك ، وتلك هى مسرته ! والشخص الذى يعانى من الدونية فإنه يعانى بسبب كونه أصبعاً

وليس عيناً ، أو لأنه قدم لاجمال فيه مثل الوجه أو الفم . وهذا يحمل إلينا هذه الفكرة : " آه ، لأنى لست هكذا فلست نافعاً ".

ولكن بالنسبة للجسد كل عضو نافع.

"لا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لى إليك أو الراس أيضا للرجلين لا حاجة لى إليكما " (١كو ١٢ : ٢١).

وبعض أعضاء الجسد التى تبدو ضعيفة قد تكون فى غاية الأهمية ، ولو أن بعض الأعضاء التى لا تراها لم تكن موجودة فماذا يكون حال الجسد ؟ وهكذا ربما بعض القراء قد جعلهم الله غير منظورين داخل عائلة الله ولكنهم أعضاء حيوية جداً ، وكما نعلم أن الأعضاء الحيوية هى التى لا نراها فهى تختفى تحت الجلد وتحت العضلات (مثل القلب والكبد و ... الخ) ، وعندما تفكر بأنك لست نافعاً مثل ... فعليك أن تتذكر بأن أعضاء الجسم الحيوية هى فعلا الأعضاء غير المرئية .

لكن لماذا يصمم الله الكنيسة هكذا؟

"لكى لا يكون انشقاق فى الجسد بل تهتم الأعضاء اهتماماً واحداً بعضها لبعض " (١كو ١٢ : ٢٥).

إن من مميزات الجسد أنه يهتم لنفسه ، ولا يمكنك أن تقول : "إن أصبعى يؤلمنى لكنى أشعر بالراحة فى أى مكان آخر " فهذا وضع غير طبيعى .

وعندما يتألم عضو فى المسيح فالآخرون لابد أن يتألموا معه، وهذا هوالوضع الطبيعى ، ولكن إن تألم واحد ولم يهتم به الآخرون فذلك هوالانشقاق بعينه .

قال القديس بولس : "فإنى أقول بالنعمة المعطاة لى لكل من هو بينكم أن لا يرتئى فوق ما ينبغى أن يرتئى بل يرتئى (يفكر عالياً) إلى التعقل كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان " (رو ١٢ : ٣). وبمعنى آخر كأنه يقول : " إنى كرسول من الله أحذر كل واحد منكم أن يكون أمينا فى تقديره لنفسه معطين لأنفسكم قيمة بحسب مقدار الإيمان الذى لكم من الله ".

ولعله أمر هام جداً أن يكون تقديرك لنفسك تقديرا صادقاً .

العلاج

سوف أصف لك أيها القارئ الفاضل أربع نوعيات من العلاج تساعدك على تذكر بعض المبادئ.

وبعدما استعرضنا موسى وإرميا وعاموس ، ثم هذه الاجزاء من العهد الجديد ، يبقى هناك أربعة اقتراحات أختم بها هذاالفصل . وسوف يساعدك كل نوع لاسيما عندما تنتابك مشاعر النقص.

العلاج الأول هو : تأكد أنك معروف من قبل أن تولد:

"لأنك أنت اقتنيت كليتى . نسجتنى فى بطن أمي. أحمدك لأنى قد امتزت عجباً. عجيبة هى أعمالك ونفسى تعرف ذلك يقيناً .

لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخفاء ورقمت فى أعماق الأرض . رأت عيناك أعضائى وفى سفرك كلها كتبت . يوم تصورت إذ لم يكن واحد منها " (مز ١٣٩ : ١٣ - ١٦).

لقد كنا جميعا أطفالاً لهم أوصافهم ، وقد جعلك الله كما يجب أن تكون وبحسب لون وكمية شعرك فهذا أيضاً لا استثناء فيه . وقد صنعك بالوجه الذى أراده لك ، وبالطول المحدد لك .

وباختصار دعنى أقول لك ما يلى :

١ - تأكد أنك معروف من قبل ولادتك

٢ - تذكر أن عملية النمو مستمرة حتى الآن .

٣ - ارفض أن تقارن نفسك بالآخرين .

٤ - استجب بطريقة سليمة تجاه نقائصك.

لى صديق تخرج فى نفس الكلية التى تخرجت فيها وكانت له ندبة حمراء جداً منذ ولادته على جانب وجهه وكانت تبدو كأنها بسبب حرق، وهى ممتدة بطريقة غير لانقة عبر جبهته وعلى أنفه وتغطى جزءاً كبيراً من الفم والرقبة.

ولعلى أؤكد أن ذلك الرجل لم يكن لديه أدنى شعور بالنقص.

وفى أحد الأيام كانت لى الشجاعة لكى أسأله عن قدرته عن ثقته بالله أن يستخدمه دون أى اهتمام بمظهره. فقال لى : " بسبب أبى ، وهو قد علمنى بقدر ما أتذكر بأن هذه العلامة فى وجهى

كانت حيث قبلنى ملاك ما قبل ولادتى . ثم قال لى : يا ابنى إن هذه العلامة كانت من أجلى أنا حتى أعرف أنك تخصنى أنا، وهكذا قد أعطاك الله علامة لكى يذكرنى بأنك أنت ابنى ".

وكنت أتذكر كلمات أبى بينما أنمو وكان يقول لى : " أنت أهم فرد خاص بالنسبة لى على وجه الأرض ". وقد دفعنى ذلك حتى أحسست بالأسى نحو أولئك الذين لا يحملون علامات على وجوههم!

إننا ما لم نصل إلى الدرجة التى نشكر فيها الله على تقصيرنا وعلى الندبات فى حياتنا فإننا لن نقهر مشكلة الشعور بالنقص . ولماذا لا تعترف الآن للرب بصراعك مع مشاعر النقص وقبل أن تسترسل فى القراءة ، واطلب منه أن يحررك من انشغالك بنفسك ومن تحليلك السرى المستمر لمدى وقوفك على " سلم المواهب " ، واطلب منه أن يعطيك لمسة جديدة من روحه القدوس حتى تتعلم أن تشعر عن نفسك بذات الطريقة التى يشعر بها الله نحوك ويهتم بك.

إن الأمر يتوقف الآن على اختبارك لطريقة التفكير عن نفسك، ولا يستطيع أحد أن يجعلك تشعر بنقصك دون رضاك ، ولكنك أنت فقط – لا سواك– الذى يمكنه أن يوقف داء عدم الثقة بالذات.

الفصل العاشر

الخوف

(القبضة القوية للفزع)

حدث أمر يصعب تصديقه لإحدى سيدات الكنيسة منذ عدة أشهر ، وسوف أدعوها باسم سوزان ، وكانت عروساً تتوقع السعادة في فجر كل يوم جديد إلى أن أتى صباح لم تزرها السعادة فيه . وقد حضر أحدهم وقرع باب شقتها ولم يكن زوجها بالمنزل فترددت قليلاً ولكنها فتحت الباب وظهر أمامها رجل عصبي مما زاد من قلقها ولكنه سألها عن مكان مدير العمل فأعطته المعلومة وأغلقت بسرعة الباب من خلفه .

ثم دق الباب بعد دقائق قليلة ففتحت دون تردد كثير، وظهر نفس الرجل وفي يده سكين طويل دفعها به إلى الغرفة ، ثم أغلق الباب وأسدل الستائر وطلب منها أن تخلع ثيابها .

وفي تلك اللحظات المخيفة بالنسبة لهذه السيدة المؤمنة تطلعت نحو الرجل في هدوء ملحوظ وقالت له : "إني مؤمنة والرب يسوع المسيح يراقبني الآن وهولن يسمح بحدوث شئ هو لا يريده أن يحدث " . وهنا حملق الرجل أمامها مشدوهاً واستمرت هي تقول له: " إن الرب يسوع المسيح يحبك ويريد أن يأتي إلى حياتك ويصبح رباً ومخلصاً لك " . ثم سألته بالتحديد هكذا : " هل سبق أن شُرح لك الإنجيل حتى تفهمه بسهولة ؟"

فأخفض الرجل السكين وأجاب بالنفي .

- إذن من فضلك اجلس هنا.

وضع الرجل السكين في جيبه وجلس على الكرسي وعلى مدى ساعة ونصف استمرت تشرح له عن المسيح ، وقد علمت أنه

كان غريباً فى المنطقة وليس له أصدقاء ولا مال ولا هدف فى الحياة ، وقد أخبرها أن "صوتاً داخلياً " هو الذى أخبره بأن يفعل هكذا ذلك الصباح.

واستمرت تلك السيدة الشجاعة فى ذات الموضوع وقالت هادفة : " إنى كما فتحت لك الباب دون أن أعلم تماماً ما أتوقعه من جانبك ، كذلك يجب أن تفعل نفس الأمر مع يسوع وهو ينتظر قرارك لكى يدخل إليك ، فهل هناك سبب يمنعك من ذلك الآن ؟".

ثم طلبت منه أن يحنى رأسه ويقول بكلماته هو أن يقبل عطية ابن الله المبارك له . وقد فعل، ثم خرج ولم يعد دون أن يلمسها .

ولكن بعدما تركها الرجل تملكها هلع شديد وكانت تطلب الهروب من الخطر ، ولعلها لم تختبر من قبل الحق القوى فى مزمور ٣٤ .

"طلبت إلى الرب فاستجاب لى ومن كل مخاوفى أنقذنى ... هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه . ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم ، ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب ، طوبى للرجل المتوكل عليه " (مز ٣٤ : ٤ – ٨).

لم تسمع سوزان عن ذلك الرجل بعد ذلك ، ولكن الحدث ترك أثراً لا يمحى بسهولة فى كل أذهاننا أن الله يستطيع أن يتعامل مع مخاوفنا.

مفهوم الخوف

كتب أحدهم كتاباً مشهوراً بعنوان " المناطق الخاطئة فى حياتك" وتحدث عن الأيام التى نخسر فيها المعركة لأننا لا نعيش لحظات الحاضر . وقد نشعر بالذنب نحو أمر حدث فى الماضى أو

نخاف من شئ قد يحدث مستقبلا ثم نفشل أن نحقق شيئا على أكمل وجه في الوقت الحاضر ، وهكذا يمنعنا الخوف من التمتع في الوقت الحالي .

أعرف شابا حصل على عمل في الصيف كمساعد لحداد لم يسبق له ذلك في حياته وكان العمل في بناء مستشفى ، وقد تم توزيعه للعمل في الدور السابع عشر وكان يخاف من الارتفاعات ! وفجأة نظر إليه أحد العمال وسأله هكذا : " ما الحكاية يا بني ، هل أنت خائف ؟ "

فتلعثم الشاب لأنه كان خائفا فعلاً حتى الموت، واعترف بأنه حاول إخفاء هذا الخوف طيلة المدة السابقة لكنه فشل.

نعم ، إن الخوف يشل حركة الإنسان كما يقود إلى الرعب الشديد حتى لو نجحنا في إخفاء مظاهره.

التغلب على الرعب

إني أجد راحة عظمى فيما كتبه داود عن موضوع الخوف كما يلي :

" الرب نوري وخلاصي ممن أخاف . الرب حصن حياتي ممن أرتعب ؟ " (مز ٢٧ : ١)

وأرجو أن تلاحظ بأن داود لم يقل إن الرب " يعطي" نورا أو يمدني" بالقوة ، بل قال إن الرب هو نور وهو حصن (قوة) وهذا مهم جداً .

إن لنا الرب في داخلنا ولذلك لا فرق إن كان اليوم هو الأحد او الثلاثاء أو صباح السبت أو مساء الخميس ، لأن الرب هو كل

ذلك ، ولا علينا أن نكون داخل الكنيسة حتـى يكـون لنـا هـذا كلـه ، ذلك لأن الرب هو دائماً النور والحصن والحماية وهو الـذى يعتنـى بكل ما يؤرقنى .

ولنلاحظ أسئلة داود هكذا : " ممن أخاف ؟ " وهذه هى الكلمـة العادية اليومية فى اللغـة العبريـة أى " الخـوف" لكنهـا تختلـف عـن التالية لها : " ممن أرتعب ؟ " وهى التى تهمنا فى هذا المقام وتعنى الارتباك الشديد أو الرعب .

كنت فى غرفة الدراسة صباحاً عندمـا طلبتنـى زوجتـى هاتفيـاً وأخبرتنى عن شخص فى ولاية أخـرى بعيدة يريـد الاتصـال بـي، فأخذت رقمه وطلبته وكان الحديث التالى :

- هل أنت ...؟

- نعم

- أنا أشكو من عيب خلقى فى قدمى (ستة أصابع) كما أن وزنـى كبير.

- نعم يا سيدى ، ولكن ماذا يمكننى أن أفعله لك ؟

- لقد سمعتك حالاً فى البرنامج الإذاعى تتكلم عن " بصيرة الحياة " ألست أنت هو فعلا ؟

- نعم أنا هو .

- إنى أبحث من خـلال إثنتـى عشـرة محطـة إذاعـة وكنـت أحـارب فـى طريق حياتى لمدة الثلاثين عاماً الماضية ، وقد كنت داخل أو خـارج الكنيسة ولكن خارجها فى أغلب الأحيان ، ولا يوجد من ألومـه، ولكـن يوجد داخلى خوف حتى الموت (وهنا أدركت مشكلته) .

واستمر يقول :

_ لقد تحدثت فى الإذاعة عن التحرير لاسيما من الخوف والخوف من الذات. ويوجد فى داخلى طفل صغير يكاد يموت من الخوف ولقد حاولت التخلص منه لكنى مازلت خائفا ! فهل يمكن أن تعطينى بصيرة عن عمل الحرية هذا ؟ وإنى حقاً فى أشد الحاجة لهزيمة الخوف .

وبعد أن تحدثنا حوالى عشرين دقيقة أحسست بالراحة عندما وعدنى بأنه سوف يحاول أن ينفذ ما اتفقنا عليه.

ولعلى خرجت من هذا النقاش بأن حجم الإنسان لا يضمن له التمتع بالثقة بالنفس ، فها هو رجل ضخم لكنه خائف! والناس الذين تنظر إليهم وتظن أنهم فى قمة الأمان والثقة بالذات هم فى الواقع عبارة عن أطفال محبوسين داخل نفوسهم ولا يجسرون على الاعتراف بذلك .

"ممن أرتعب ؟ ومن هو الذى يخيفنى ؟ "

إن جليات لم يخف داود ، ذلك لأن المعركة كانت للرب. وإله داود هو إله أولاده اليوم ، وهو يقول لهم : أنا نوركم وخلاصكم وحمايتكم .

وإذا فكرت عسى أن داود لم يواجه أنواع الضغوط التى نواجهها اليوم ، فاستمر فى القراءة هكذا :

"عندما اقترب إلىّ الأشرار ليأكلوا لحمى مضايقى وأعدائى عثروا وسقطوا . إن نزل على جيش لا يخاف قلبى ، إن قامت على حرب ففى ذلك أنا مطمئن " (مز ٢٧ : ٢ و ٣).

كان داود يحارب جيشاً بمفرده ، لكن ما فائدة ذلك للآخرين ؟ لقد أرسل شاول كل الجيش لكى يجدوا رجلاً واحداً . وهنا بدر فى ذهنى هذا الفكر وهو أن ذلك هو قمة الرعب !

وعندما خرج داود من الكهف واختبأ خلف صخرة استطاع أن يسمع كل ما كان حوله ، وأعنى أنه لو لم يكن الله حقيقة بالنسبة له لما تمكن من البقاء ، ذلك لأن الصراع كان عنيفاً فقد نزل عليه جيش (زيادة العدد) وقادت عليه حرب (زيادة القوة) ، ولعلى بالكاد أصدق ما قاله بعد ذلك:

" ففى ذلك (بالرغم من ذلك) أنا مطمئن " (٣).

الاحتفاظ بالثقة

إن الثقة لا تعنى " الثقة الذاتية " كما لا تعنى المهارة البشرية ولا تعنى أن تكون ألطف من الآخرين ، ولكنها تعنى الأمان والتوكيد . وقد كان الرب هو مصدر الأمان الوحيد لداود ، وهذا ما يحاول عدو المسيحية أن يسلبه منك ويشعرك بأنك تحتاج إلى شئ آخر لكى تكون مطمئناً .

ولكن كيف حصل داود على هذه الثقة ؟

لقد كان له شئ واحد فى قلبه:

" واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى لكى أنظر إلى جمال الرب وأتفرس فى هيكله " (مز ٢٧ : ٤)

لا تطلب أشياء كثيرة ولكن اطلب شيئاً واحداً... " إياه ألتمس"... وما هو الذى تلتمسه يا داود ؟ لعلك تجيبنى بسرعة : "أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى .." .

ما هذا ؟ هل يعنى أن أعيش فى مبنى الكنيسة ؟ ولاشك تعرف أنه لا يقصد ذلك لأنه يعيش خارجاً فى الحقل ، ولكن تتبع كلامه إذ يقول : " لكى أنظر إلى جمال الرب وأتفرس فى هيكله " .

ولا تنسى ذلك أن تسكن فى البيت وتتأمل فى الهيكل . ثم يكمل حديثه هكذا :

" لأنه يخبئنى (يخطينى) فى مظلته فى يوم الشر . يسترنى بستر خيمته (فى المكان السرى) . على صخرة يرفعنى " (مز ٢٧ : ٥) .

إن الذى يساعد على إحلال الثقة بدلا من الخوف هو : السكنى فى البيت ، والتأمل فى الهيكل ، والاختباء فى المظلة والتستر فى الخمية . وما أجمل ذلك ، ولكن ماذا يعنى هوبكل هذا ؟

والمعنى المجازى للسكنى فى بيت - أيام الملك داود - كان يعنى الحماية من كل الجوانب، اما فى أيامنا فالمعنى هوالوعى والشركة المستمرة مع الله الحى وسط شعبه ، وقال أحدهم : إنها " ممارسة حضور الله ".

وكأن داود كان يقول : "عندما أخرج من هذا الكهف غير عالم من أين تصوب نحوى السهام لكنى أعلم أنى آمن بحمايتك لى فى المظلة وفى الخيمة وفى البيت وفى الهيكل ، ولهذا فإنى أطلب شيئاً واحداً يارب أن لاشئ يفصل شركتنا".

وعندما نشعر بالرعب أو عدم الثقة فإننا نكون قد أحسسنا بالشخص الذى يهاجمنا أكثر من إحساسنا بالرب نفسه ، وعندما ندخل إلى ما يرعبنا علينا أن نرى أنفسنا بوعى كامل بأننا فى الخيمة متأملين فى المظلة ناظرين إلى جمال الرب وقائلين له : "إننا الآن لا نملك سوى الاتكال عليك لأننا لك أنت وحدك".

ولذلك بدأ هنا داود يصلى هكذا :

" استمع يارب . بصوتى أدعو فارحمنى واستجب لى . لك قال قلبى (عندما) قلت اطلبوا وجهى . وجهك يارب اطلب. لا تحجب وجهك عنى. لا تخيب بسخط عبدك. قد كنت عونى . فلا ترفضنى ولا تتركنى يا إله خلاصى" (مز ٢٧ : ٧ - ٩).

وهذا ليس التماساً من نصف القلب لكن داود كان يعنى كل كلمة فيه ، لكننا أحياناً نعبث فى الصلاة مع أن الله قد وعدنا بحضوره وبأن نرتبط به ونتكل عليه وهو سوف يخرجنا من المواقف التى تهددنا.

ولعلنا نقول شيئاً معتاداً مثل هذا الكلام البارد : " يارب إذا كان ذلك حسب إرادتك فمن فضلك قدنا إليه وارشدنا نحوه " .

يا أخى ، ليست هذه هى الصلاة التى يريدها الله ! وبالأحرى يجب أن تقول :

"يارب إنى الأن أتمسك بكلامك فلا أستطيع أن أجتاز هذا الموقف بدونك ، ولذلك أرجوك أن تستجيب لى وتمدنى بما أحتاج إليه واعطنى القوة الجامحة التى أحتاجها هذه اللحظة ".

ويحدث معى أحياناً أثناء قيادتى لسيارتى فى طريقى إلى موقف غاية فى الصعوبة ولا أعلم ماذا ينتظرنى فأرفع صوتى فى صلاة لله حتىأن الناس فى الشارع كانوا يتطلعون نحوى بغرابة لكنى لا أعبأ بما يظنون لأنى أنا - وليس هم - الذى سوف يواجه هذا الموقف .

البقاء متزناً

ربما تظن أنى متحيز إلى داود ، ولكن دعنا نستمر فى هذا المزمور:

"علمنى يارب طريقك واهدنى فى سبيل مستقيم بسبب أعدائى" (مز ٢٧: ١١)

. بمعنى : " علمنى يارب وقدنى فى سبيل متزن لأن أعدائى كثيرون . وليتك تحفظنى متزناً ومستقيماً " ثم يقول :

" لولا أننى آمنت بأن أرى جود الرب فى أرض الأحياء (حيث أعيش أنا الآن) " (٢٧ ": ١٣) بمعنى : "لولا أنك معى هنا ماكنت أتقدم لمواجهة ما يجب أن أواجهه ، وإلا كان الفشل يهزمنى وربما يحطمني".

التحرر من قبضة الخوف الشديدة

حدث من مدة ما أن قضيت أنا وزجتى أمسية مباركة مع راعوث وزوجها رولن . وكتبت راعوث بحثاً تحت عنوان : اخبرنى ثانية يارب لأنى أنسي، وأنت يارب تحب أن تقول لى نعم.

كانت راعوث سيدة نقية واحترمها جداً وهى قد تعلمت على سرير الألم ماهية الثقة بالرب وقد تعرفت بـ "رولين" عندما كانت فى التاسعة عشر من عمرها واتفقا على الزواج، لكنها صارت تعانى من سعال شديد واكتشفوا فى ذلك الوقت وجود تجويف فى الرئة ولابد من العلاج فى مصحة ورقدت هناك لمدة عامين .

وفى تلك الأثناء زاد حبها لخطيبها وكانت تسجل أفكارها فى الصلاة وزاد إيمانها ولم تفشل ، ثم تزوجت واندمج الاثنان فى خدمة مسيحية .

وقبل أن يفكرا فى الانجاب عانت راعوث من السعال مرة أخرى وبعد الفحوصات ظهر تجويف فى الرئة الأخرى مما يعنى البقاء فى المستشفى لمدة طويلة أخرى ، وهنا سقطت راعوث فى قبضة الخوف الشديدة وتركت المكان .

تركت راعوث ملحوظة صغيرة مع تقرير الطبيب وسارت على قدميها فى طريق ممتد بجوار السكة الحديدية ، ولكن رولن قاد سيارته فوراً إلى حيث كانت تسير راعوث وهناك قال لها إنه لن يتخلى عنها مهما كان الأمر .

لكن الأحداث التالية كانت مأساوية ، فقد اتضح أنها تعانى من السل وأنه لا أمل فى الانجاب ، ولم ينجبا فعلا ، لكنهما قالا لنا إنهما خدما وسط الأطفال وكانت لهما برامج تعليم مسيحى لهم وقد استخدمهما الله فى الكنيسة سبب بركة لفريق الترنيم.

وراعوث تخدم اليوم كما لم تخدم من قبل بعدما استطاعت أن تنتظر وتسكن نفسها فى جود الله فى أرض الأحياء ، وقد طردت الخوف من حياتها وأطلقت عنها قبضته عندما واجهته بقوة الرب.

وقد سجلت ما يلى كأسلوب عملى لمواجهة الخوف فقالت:

١ – عندما تحدث مخاوف عليك أن تقر بها ، ولك أن تقول : إنى أخاف من... ، فلا يمكن أن تهزم شيئاً ما لم تتعرف عليه بوضوح أولاً.

٢ – بعدما تعترف بها استودعها للرب ، وكن عملياً جداً فى هذا الأمر ، وقرر أن تسلم حالك له ، وكن أيضا محدداً ، ومعلنا ذاتك بكلام واضح، وسلم هذه القبضة الحديدية إلى الرب ودعه يتصرف فيها .

٣ – بعدما تستودع مخاوفك للرب ، أتركها ، فاللـــه يقول لك : لقد سمعت وسوف أتعامل مع هذا الخوف . وقـــد قـــال داود فـى مزمور آخر: "ألق على الرب همك فهو يعولك. لايدع الصديق يتزعزع إلى الأبد " (مز ٥٥ : ٢٢) .

٤ – قـف ثابتـاً فـى قـوة اللـــه القديـر ، وارفـض بكـل مشـاعرك أن تـتراجع ، فاللـه يكـرم مثـل هـذا النـوع مـن الإيمـان .

منذ عدة سنوات كانت شقيقتى "لوسي" التـى تكـبرنى بعـامين ، تعمـل مندوبـة للكليـة التـى تخرجـت فيهـا وكـان عملهـا حسنـاً وهـو تشجيع الآخرين للالتحاق – أو بالحرى لتجنيدهـم – بنفس الكليـة ، وكان يشوب ذلك العمـل شـئ خطـير وهـو القيـادة الطويلـة ، وهـى كسيدة وحيدة لم تكن فى دقة الحذر.

وبينما كانت تقود سيارتها فى طريق طويل نظرت مـن خـلال المـرآة العاكسـة أن رجـلاً يقـود سيارته منفـرداً يتعقبهـا ولـم تفلـح محاولاتها للتخلص منه، وكـانت تخشـى لـو أنـه اضطرهـا للجنـوح على جانب الطريق ومن ثم بدأ الخـوف يسـيطر عليهـا فعدلـت عـن الوصول إلى أقرب مدينة لأن الظلام بدأ يرخـى سدوله ، وقـررت أن تلجـأ إلـى موتيـل (مكـان مفـروش ومجهـز للراحـة القصــيرة) يعطيها شيئاً من الأمان . ولكنها مـا أن وصلـت إليـه حتـى شـاهدت نفس الرجل يتعقبها . فاندلفت بســرعة إلـى داخـل الموتيـل وأغلقـت الباب بإحكام وقد امتلات عيناها بدموع الخـوف ، لكنهـا قـررت أن تعترف أمام الله وتعلن له خوفها وفزعها ومشاعر عدم الأمان . ثـم هاجمها احتمال حدوث سطو فـى الليـل عليهـا فلـم تنعـم بـأى سـلام داخلى ، فماذا تفعل إذن ؟

وإذ كانت لوسى فى حالة اضطراب عاطفى لمحت بعض الكلمات الملصقة على الدولاب وكانت هكذا : "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم" .

إمضاء: يسوع

لقد اندهشت لأن أحداً قد ترك هذه الكلمات تحت الزجاج ، وإذا بتيار من القوة اندفع إليها وزال خوفها المرعب وحل مكانه الاتكال على الرب يسوع والتأكد من حضوره معها . ولقد أخبرتنى فيما بعد أنها نامت تلك الليلة مثل طفل صغير دون أى تعب .

إن القبضة الشديدة للفزع لا يجب أن تفقدك الحركة ، فلا حدود عند الله بالنسبة لخلاصه ، وعليك أن تقر بخوفك ، وتسلمه له ثم تتكل عليه وهو يستطيع أن يتصرف .

ولعلك تستطيع أن تسأل الذين اختبروا حلاوة التخلى من الخوف .

الفصل الحادي عشر

الـغـضـب

(الفتيل المحترق للعداوة)

هناك رجل أمريكي كبير يدعى "توماس جفرسون" عمل كثيراً لكي يتغلب على الغضب ، وقد كتب ما يلي في كتابه "قواعد الحياة" عما أعتقد بأنه أسلوب الحياة للرجال والسيدات وقال :

"عندما تكون غاضباً عد من ١ - ١٠ قبل أن تتكلم ، وإذا كنت غاضباً جداً فاستمر في العد حتى المائة ".

وبعده بخمسة وسبعين عاماً جاء المؤلف "مارك توين" وعدل الكلمات السابقة وقال : " إذا كنت غاضبا ، عد حتى أربعة ، وإذا كنت غاضبا جداً فعليك أن تحلف ".

وربما يقول بعض الصادقين منا إننا قد حاولنا أن نسيطر على الغضب محاولين كل شئ ابتداء من فلسفة "جفرسون " حتى " توين" ولكننا لم نفلح . وتلك مشكلة حقيقية ، فإذا كنت تصارع بمزاج متعكر فكأنك تضحك من الخارج ولكنك تبكي من الداخل. ولا أعرف شيئا أكثر إحباطاً من التعامل مع الغضب (وربما يجعلني مثل المجنون)، وهو الذى يسلبنا من شهادتنا ويسرق سلاحنا منا ، كما أنه يؤذى حياة بيوتنا وعلاقاتنا مع زملائنا.

جاءني رجل من مدة طويلة وجلس معي وصب غضبه أمامي، وكان قد ضرب زوجته الليلة السابقة بكل قسوة ، وبسبب إصاباتها لم تستطع الحضور معه ، وكلاهما- للأسف - مؤمنان.

جلست في أحد المرات مع أب في سجن المدينة وكان يخفي وجهه بيديه والدموع تنهمر من بين أصابعه . لقد قتل طفلته

الصغيرة بيديه فى نوبة عارمة من الغضب لأنها أثارته بصياحها بينما كان يستمع إلى الموسيقى .

أليس الغضب أمراً مهولاً ، يجب أن نفهمه ونقر به ونسيطر عليه ، وإلا فإنه سوف يقتلنا.

ما هو الغضب؟

دعنى أبدأ بتعريف الغضب ، وليس هذا سهلاً ، ولكنى بحثت فى مصادر متعددة وخرجت منها بالتعريف التالى :

الغضب هو انفعال عاطفى عدائى يسبب حزناً شخصياً ، سواء لأنفسنا أم لشخص آخر.

ودارسو علم النفس يقولون لنا إن هناك مراحل مختلفة للغضب، ومعظمنا قد اختبر بعضاً منها .

فالغضب قد يبدأ بعد إثارة بسيطة ، والتى ربما لا تزيد عن مجرد الاحساس باضطراب أو الشعور بعدم الراحة سواء بسبب شخص ما أو شئ ما.

ثم يتحول الغضب من الإثارة إلى السخط، وهو الشعور بضرورة الاستجابة لأمر ما ، أى الانتقام لما هو خطأ . إلا أن الإثارة والسخط قد يمران دون تعبير عملى .

وإذا تغذى السخط فإنه يقود إلى الغيظ وهو ما لا يمضى دون تعبير - ويقول علماء النفس إن الغيظ هو الرغبة الشديدة للانتقام .

ثم إذا زاد الأمر فإن الغضب يصبح عنفاً بمعنى الضراوة التى قد تصل إلى فقدان السيطرة .

والمرحلة الأخيرة للغضب هى الاحتدام (الثورة) وواضح أنها أخطر أشكال الغضب .

حدث فى لوس أنجيلوس (بأمريكا) أن قام أحدهم باغراق أولاده الأربعة ، وأقر بأن ذلك كان فى ثورة غضب . والاحتدام هو فقدان وقتى للسيطرة يتخلله أعمال من العنف وربما لا يتحقق الغاضب مما يفعل .

قد يدهشك المكتوب:

هناك آيتان فى الرسالة إلى أهل أفسس تتعلقان بالغضب:

"اغضبوا ولا تخطئوا . لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس مكاناً" (أف ٤: ٢٦ ، ٢٧) .

وتقول إحدى التفاسير هكذا:

"لا تخطئ عندما تغضب، ولا تدع غضبك أو غيظك أو سخطك يستمر حتى غروب الشمس ولا تعطى مكاناً أو مجالاً للشيطان ولا تعطه فرصة ".

وفى ترجمة أخرى ورد ما يلى :

"إذا كنت غاضباً فلا تدع غضبك يقودك إلى الخطية ولا تدع الشمس تغرب وأنت فى ذات الحال، ولا تترك ثغرة للشيطان ".

إنى أرى ثلاثة أمور هامة فى هذين العددين ، أولها هو أمر بسيط وواضح، ذلك إن الغضب هو شعور معطى لنا من الله ، والذى لا يغضب يعتبر مخالفا للطبيعة البشرية وكأنه يلبس قناعاً غريبا. وربما نقول إن الشخص الذى يخلو من العواطف لا قلب له، والشخص الذى لا يحب فهذا يدل على شئ خطير وخاطئ فيه،

وكل هذه العواطف هى من الله وهو يقول لنا أن نعبر عنها ، وهذا يصدق على الغضب ، ولذلك يقول الله لنا : "اغضبوا".

والملاحظة الثانية تتفق مع ما سبق ، فالغضب ليس بالضرورة خطية . فكما يقول الله :" اغضبوا ولكن لا تخطئوا" فليس كل تعبير عن الغضب هو خطأ . وهذا يشبه ما يمكن أن أقول لأحد أولادى هكذا : إنك يا ابنى تستطيع ان تخرج هذا المساء لكى تنعش نفسك ويكون لك وقت طيب ولكن أرجو أن لا تسئ إلى نفسك .

أو مثلما يقول الرب : إنى أريدكم أن تحبوا ولكن لا تحبوا العالم ولا الاشياء التى فى العالم ". وهى ذات الفكرة ، اغضبوا ولكن لا تستمروا فيه إلى درجة الخطية.

وربما يتساءل البعض عن صحة الغضب أو عدمه . فهل تعلم أن تعبير " غضب الرب" قد ذكر فى العهد القديم ليس أقل من ثمانى عشرة مرة ؟

ولنا فى العهد الجديد أمثلة نموذجية عن غضب الرب يسوع ! فإنه عندما رأى الصيارفة فى الهيكل لم يقل : "اسمعوا أيها الشباب إنى لا أريد أن أعثركم لكن هذا الذى تصنعونه ليس طيباً أبداً" لكنه بالحرى ضفر سوطاً واستخدمه فى طردهم خارج الهيكل ، وكان ذلك تعبيراً حقيقياً عن سخطه .

كما لم يتكلم يسوع قط بمثل هذه الصراحة الغاضبة إلى أحد مثلما تحدث إلى المتدينين المرائين فى (مت ٢٣) وقد قال المرة بعد الأخرى " ويل لكم " ودعاهم " قبوراً مبيضة" و "حيات" ! فهناك أوقات يكون الغضب فيها مناسباً جداً.

والأمر الثالث هو أن الغضب لابد له من حرس ولنلاحظ حارسين قدمهما لنا الرسول بولس فى هذا الجزء:

الحرس الأول : "لا تغرب الشمس على غيظكم" (أف ٤ : ٢٦).

أى لا تدع الغضب تطول مدته حتى الليل . وكان فى أيام بولس أن اليوم ينتهى بغروب الشمس ويبدأ يوم جديد ، أى تأكد من حل مشكلة الغضب قبل انتهاء اليوم .

وأعتقد أننا يجب أن نلتزم بذلك حرفياً ، وأنا أفعل ذلك فى بيتى ولعلك تفعل أنت أيضاً كذلك . فإذا حدثت أوقات للخلاف أو الغضب فى خلال اليوم فيجب تصفيتها فى المساء ، وعندما تضع رأسك على الوسادة تأكد أن مشاعر الغضب قد انصرفت ، وتأكد من الغفران أى تنقية الضمير . ولعلى أنصح الأزواج والزوجات أن لا يذهبوا إلى النوم وكل منهم يعطى ظهره للآخر ، ولا تسمح لنفسك بالتلذذ بمشاعر سوف تهتم بها فيما بعد، بل ما أجمل أن تقوم حتى من فراشك لكى تواجه الأمر وتنهى المشكلة .

وهذا ما يقوله القديس بولس ، أى لا تدع الخطية تأتى بإطالة مدة غضبك . وربما هناك بعض الندبات فى حياتك وذلك لأنك لم تحل مشكلة الغضب وقت حدوثها . وكما تعلم أن ٩٩٪ من كل المشاكل لا تحل من ذاتها ، بل تبقى مثل مسمار فى سرج الحذاء حتى تتحول إلى قرحة وتمرض صاحبها.

الحرس الثاني: "لا تعطوا إبليس مكاناً" (أف ٤ : ٢٧).

وهذا معناه بالضبط أن لا تسمح لغضبك أن يتم التعبير عنه بطريقة تجعلك ضعيفاً ومن ثم تكون فرصة إبليس لاظهار صفاته من خلالك أنت .

وكما تعلم أن الرب يسوع يحب أن يظهر صفاته هو من خلالك أنت ، وهذا يحدث بحرية عندما نكون تحت سيطرة الروح

القدس وهنا تتدفق محبة المسيح ولطفه وحنانه وفرحه واهتمامه بالآخرين من خلالنا. وحيث أن إبليس هو سيد التزييف فهو يهدف أن يجعلنا نتصرف نظيره لاسيما عندما نخضع لأمور الشيطان.

وهذا هو كل ما يقصده القديس بولس أن لا تدع الغضب يسيطر عليك ويضعفك إلى الدرجة التى تظهر فيها مجالات الخطية فى حياتك أو يتدخل فيها إبليس . وعليك أن تتذكر ذلك كلما تعرضت للغضب، لأن الغضب المستمر والذى لا نسيطر عليه هو باب مفتوح خطير لعدو حياتنا.

ودعونا نواجه الواقع ، ولسنا كلنا متشابهين ، فالبعض منا أكثر عاطفية عن البعض الآخر . وربما تعلم كيف أنت وما هى نقط الضعف فعندما تشعر أن الأمر يقترب إلى ما هو أبعد من قدرتك أو سيطرتك فتأكد أن الرب ليس فى الأمر ، وعندئذ لا يجب أن تعطى إبليس فرصة.

متى يكون الغضب مبرراً ؟

متى نقول بحق إن الغضب في مكانه الصحيح ؟

وهذا سؤال هام ، وإنى أجد ثلاثة مواقف كتابية يجوز فيها الغضب.

١ - عندما يعصى شعب الله كلمة الله وإرادته عن معرفة:

لابد أن يحدث شئ ما فى قلب أى ابن لله عندما يرى المؤمنين الآخرين يخطئون علانية متجاهلين وغير مطيعين لإدارة الله، وليس حسناً أن نتطلع فى سلبية إلى ذلك ، فهناك خطأ ما محدد!

عندما رأى موسى ما كان يحدث حول العجل الذهبى لم يتمالك نفسه وغضب جداً (خر ٣٢ : ١٩ ، ٢٠).

وعندما مال قلب سليمان وراء زوجاته وسرارية الكثيرات ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب مثل داود أبيه فإننا نقرأ بعد ذلك هذا التقرير : "فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل... فلم يحفظ ما أوصى به الرب " (١مل ١١ : ٩، ١٠).

وتبرير الغضب ليس فقط للإنسان بل أيضاً للرب لاسيما عندما نعصى كلمته علانية وبمعرفة وهناك بعض المواقف الملتوية التى تقصد توصيل فكرة أن الله لا يهتم بعد بمقاييس معينة وأنه غير مطلوب (متوقع) منا حياة التقوى ذلك لأننا تحت النعمة ، وهذا كذب وانحراف يقترب بنا إلى حافة الهاوية.

ويخبرنا الكتاب المقدس بأن الله يغضب دائماً وبشدة عندما نختار عصيانه العلنى . وإذا كنت مستمراً فى حياة العصيان لله فإنى أحذرك بأن غضب الله يتقد ضدك (وسوف أتحدث عن ذلك فى الفصل التالى) . وربما بنعمته قد يسمح لك بأن ترى هذا ، ولكنى أؤكد لك بأن هذا يحمل لك نتائج وخيمة .

٢ – عندما يتخذ أعداء الله سلطات قضائية تفوق حقوقهم:

لقد سجل إشعياء النبى مثالاً لذلك عندما تحرك أعداء الرب فى مجال يتعدى صلاحياتهم وقد وبخهم الرب كما يلى :

" ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شراً ، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً... الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة وأما حق الصديقين فينزعونه منهم" (إش٥: ٢٠ – ٢٣).

ومعنى العدد الأخير هو الذى شدنى ، أى أنهم ينزعون حقوق أولئك الذين لهم الحق ! وما أقصده هو أن الغضب مجاز عندما ينزع أعداء الرب الحقوق بحجة سلطانهم القضائى ، وهناك أمثلة كثيرة كتابية أخرى .

وعلى سبيل المثال فإننا نقرأ فى (١ صم ١١) أن شاول كان هو الملك الممسوح عندما أتى العدو لغزو الأرض " فحل روح الله على شاول عندما سمع هذا الكلام وحمى غضبه جداً " (١صم ١١:٦) وكان هذا الغضب حرفيا بسبب إعلان الحرب على أرض الله وعلى شعب إسرائيل وبالتالى كانت حريتهم مهددة .

وأعتقد أن هذا الكلام ينطبق على أيامنا الحالية وعلى نظرتنا إلى الحرب ، ولعلى أؤكد لك أنى لست من مثيرى الحروب ولا يوجد من يتألم نظيرى عندما أرى نتائج الحرب. ولا شك أنك تشعر بذات الأمر ، ولكن لا يعنى ذلك أنه إذا أراد العدو أن يتقدم وينزع حرية أرضنا أننا نقف سلبيين ونقول : " حسنا، إن علينا أن نتأقلم مع العدو فى حياة أفضل ، وهذه إحدى مشاكل الحياة، والشر موجود على كل الأرض " . وهنا يخبرنا الكتاب المقدس بأن الله يغضب فعلاً عندما تسلب حقوق الذين لهم هذه الحقوق ، وهكذا يجب أن يحدث معنا أيضا لكى نكون مدافعين عن كنز حقوقنا لأنها مسئوليتنا.

٣ – الموقف الثالث الذى يجوز فيه الغضب هو:

عندما يعامل الآباء أطفالهم بظلم ، ونحن هنا لا نتحدث عن نظرية أو حرب بعيدة أو حكم فى القانون ، بل نتحدث عن الغضب المسموح به والمبرر داخل المنزل ، وإنى أحاول أن أعبر عن نفسى بعناية حتى لا يُساء فهمى .

"أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب لأن هذا حق . أكرم أباك وأمك التى هى أول وصية بوعد .. وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم – إلى درجة الغضب (كما ورد فى الترجمة الانجليزية) – بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره " (أف ٦ : ١-٤) .

والآية المقابلة لهذا الكلام هى :

"أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا " (كو ٣ :٢١).

ومن العجيب أن الرسول بولس يوجه كلامه فى الجزئين السابقين إلى الآباء ، ذلك لأننا كآباء قد نتعرض لعدم الصبر وإلى نقص فى فهم وإدراك مشاعر صغارنا أو شبابنا الذين يعيشون معنا فى منازلنا . وعندما نتعامل معهم بدون وجه حق ثم يستجيبون بغضب فهذا الغضب له ما يبرره ، فالكتاب يوصيك أن لا تغيظ أولادك إلى درجة الغضب.

كما أنى أقول للأبناء أن يأخذوا فى اعتبارهم بأنه ليس كل كلمة تخرج من أفواه آبائهم يقصد بها إثارتهم وغضبهم ، وإنى أقصد تلك الأمور التى يفعلها الآباء وهى التى تؤدى فعلاً إلى مشاعر إثارة وأذى لدى أولادهم.

ولعلنا نتسرع نحن الآباء ولا نسمح لأنفسنا بالوقت الذى يجعلنا نعتبر فيه مشاعر الآخرين ، ولذلك نطلب أشياء معينة أو نتفوه بألفاظ غبية لا داعى منها. ولعلى أعترف بأن كلامى يديننى أنا !

وأوضح مثال لذلك هو ما فعله شاول الملك لابنه يوناثان عندما طلب منه إحضار داود لكى يقتله " فأجاب يوناثان أباه وقال له لماذا يقتل ؟ ماذا عمل ؟ فصابى شاول الرمح نحوه ليطعنه... فقام يوناثان عن المائدة بحمو غضب ... " (١صم ٢٠ : ٢٣ ، ٢٤).

وإنى أريد أن أقول شيئاً معرضاً لسوء الفهم ، لكننى سوف أذكره ، وهو أنى أعتقد أن بعضاً منا يلوى تعليم " سلسلة الوصايا" المنزلية أكثر من اللازم . وكل واحد منا يستطيع أن يمسك بالحق ثم يقلبه ، وأعرف حالات كثيرة مثل ذلك .

وليتك تكون حذراً كأب وكزوج وكرجل الله أن تكون معاملاتك مع عائلتك عادلة ، وأنك تستطيع أن تؤيد هذه المعاملات أمام الله كتابياً ومنطقياً ، وأن لا تستخدم مفهوم الرئاسة كسوط مسلط على أفراد عائلتك بل تستخدم سلطانك فى خدمتهم.

هل أنت معرض لغضب لا مبرر له ؟ وهل أوصدت الأبواب بشدة فى بيتك أو مع أصدقائك بمجرد أنك فقدت أعصابك ؟ ليتك إذن تقرأ ما يلى :

"ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث . وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضا فى المسيح " (أف ٤ : ٣١ و ٣٢).

ليتك تكون مستعداً أن تضع هذه المشكلة ذات الفتيل القصير أمام الله. وربما إشارة بسيطة تؤدى بك إلى عدم الصبر وربما تنفجر قبل أن تعلم ذلك ، وتصبح شهادتك فى خطر.

إن غضب الله قد انصب صرفاً على الرب يسوع فى الجلجثة، كل غضبه على الخطية فى ذلك الوقت قد انسكب على المخلص . فالله إذن يعرف ما هو الغضب وربما تصب غضبك عليه.. لكنه يريد أن يرفع عنك هذا الضعف وهذه الخطية ويعطيك نصرة .

غضب لا مبرر له

دعونا نسير الأغوار، ولا يمكن أن نترك الموضوع دون النظر إلى الوجه الآخر من العملة ، فمتى يكون الغضب غير مبرر؟

١ - عندما يحدث الغضب من دافع خاطئ:

إننا نعرف جيداً عن الابن الضال ، لكننا ننسى عادة الابن الآخر الذى ظل بالبيت . وهو هنا مثالنا عن الغضب الذى لا مبرر له لأنه نبع من دافع خاطئ . وعندما عاد الابن الاصغر قبله أبوه فرحاً لكن الابن الاكبر لم يشترك فى هذا الفرح لأنه " غضب ولم يرد أن يدخل (البيت) " (لو ١٥:٢٨) وكانت الغيرة هى سبب هذا الغضب.

وعندما نشعر بالغيرة نحو شخص آخر فإننا عادة نتصرف بغضب لاسيما إذا لقى هذا الشخص مدحاً أو تقديراً أو التفاتاً من الناس الآخرين . وربما نقول : " هذا ليس عدلاً فأنا أحق منه بذلك".

والمثال الآخر هو نبوخذ نصر الملك الذى اتقد غضبه بسبب الكبرياء ، ولعلنا جميعاً نتصارع مع هذه المشكلة القديمة ، الكبرياء.

لقد أمر بعمل تمثال كبير (ربما له شخصياً) من ذهب وأمر الجميع بعبادته ، ولكن بعض اليهود رفضوا ذلك لأنها عين الوثنية، "حينئذ أمر نبوخذنصر بغضب وغيظ بإحضار شدرخ وميشخ وعبد نغو" (دا ٣ : ١٣)، لماذا ؟ بسبب الكبرياء .

ولعلنا عندما يتسرب الغضب إلى نفوسنا نسأل عن الدافع وراء هذه المشاعر.

٢ - عندما لا تسير الأمور على هوى الإنسان :

إن سفر يونان يسجل لنا أعظم نهضة امتدت عبر التاريخ ، وقد تابت كل مدينة نينوى عن خطاياهم ورجعوا إلى الرب.

كان يونان بالطبع متعصباً عرقياً ، وكان نبياً لكنه فى الواقع كان يريد أن يرى دمار نينوى لذلك لم يذهب إليها فى بادئ الأمر ، ولما لم تسر الأمور على هواه غضب ، "فغمر ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ" (يون ٤ :١) . لكن الرب قال له : " هل اغتظت بالصواب؟ " (يون ٤ : ٣) بمعنى هل لديك سبب يبرر غضبك ؟ . ومرة أخرى قال له : هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطينة ؟ " (يون ٤ : ٩).

وهذا يأتى بنا إلى نقطة عملية ، ذلك عندما لا تسير الأمور معك على ما يرام ، فهل تغضب حينئذ ؟ لا شك فى ذلك مالم يخب ظنى .. وهنا الاختبار الحقيقى للحياة المسيحية ، فهو ليس فى صباح الأحد حيث تكون فى الكنيسة ، ولكنه قد يكون (الاختبار) فى عطلة نهاية الأسبوع عندما تفاجأ بما لم تكن تتوقعه ، فهل تسأل نفسك إذن : ماذا تريدنى يارب أن أتعلمه من ذلك ؟ أم أنك تحتج وتفقد أعصابك وتغضب ؟!

ومن أفضل السبل لكى تحتفظ بأعصابك بعيدة عن الغضب هو أن تتمتع بالمشاعر الطيبة وتحول الأوقات الرديئة إلى أوقات فرح.

كنا نقيم في ولاية تكساس (بأمريكا) وقد خططنا كعائلة أن نقوم برحلة طويلة ولكننا صلينا وقلنا إنه مهما حدث فإن الرب سوف يعطينا وقتاً طيباً.

وحسناً فعلنا، ذلك لأننا عندما وصلنا إلى المكان كان سيئاً للغاية ومزدحماً وحاراً ومليئاً بالحشرات فقررنا العودة إلى المنزل، ولكننا شاهدنا في الطريق مكاناً آخرليس به أحد قط فأقمنا به خيمتنا وقضينا أسبوعين في هدوء تام وكان الجو لطيفاً والمكان رائعاً.

إن الاختيار هو من حقنا ، فإذا اخترنا الضيق عندما لا نحصل على ما نريد وبالكيفية التي نحددها فإننا سوف نعيش باستمرار على حافة الغضب ، لكن إذا قلنا لأنفسنا إن القلب الفرحان يشفي مثل البلسان ، فعندئذ يكون الفرق كبيراً .

٣ - عندما تستجيب بسرعة دون فحص الحقائق:

"نهاية أمر خير من بدايته . طول الروح (الصبر) خير من تكبر الروح . لا تسرع بروحك (بقلبك) إلى الغضب لأن الغضب يستقر في حضن الجهال" (جا ٧ : ٨ , ٩).

"ليكن كل إنسان مسرعاً في الاستماع مبطئاً في التكلم مبطئاً في الغضب " (يع ١: ١٩) .

إن كانت لنا أرواح طويلة (صابرة) وإن كنا نسمع الأمر حتى نهايته فهذا أفضل . أما إذا كنا نسعى بقلوبنا نحو الغضب فهذه هي الحماقة .

عندما لا يتم تنفيذ الجدول فإنك تستجيب بغضب ، وهذا هو الجهل كما يقول الحكيم !

وليتك تتدرب على فن الهدوء ، وتتعلم أن تبتعد عن مصدر أى صوت ، وتفطم نفسك قليلاً عن العالم فى خلوة مع الله حتى تكون رجل الله بحق . ولعل أعظم رجال الماضى قد فعلوا ذلك بسبب عمق حياتهم التى زرعت فى صمت . وربما يرجع سبب إثارة معظم الآباء فى بيوتهم إلى التسرع .

"البطئ الغضب خير من الجبار ومالك روحه خير ممن يأخذ (يأسر) مدينة" (أم ١٦ : ٣٢).

التغلب على الغضب

ماذا نفعل تجاه الغضب؟

الغضب خطية عندما يأتى نتيجة دافع خاطئ، أو عندما لا نحصل على ما نريد ، أو عندما نستجيب بسرعة. ولكن ما هى الأمور العملية التى يقولها الله لنا بالنسبة للغضب؟

يقدم لنا الوحى أربعة إتجاهات محددة فى سفر الأمثال كما يلي:

١ – تعلم أن تتجاهل عدم الاتفاق البسيط:

" تَعقُّل (حذر – تمييز) الإنسان يبطئ غضبه وفخره الصفح (التغاضى – اهمال) عن معصية " (أم١١:١٩) .

وورد فى ترجمة أخرى ما معناه :

"من الفطنة للإنسان أن يحفظ غضبه ، ومن مجده إعقال المعصية".

فأنت " ممجد" فى نظر الله إذا كنت تتغاضى عن معصيـة ، فلا تسعى إلى الحرب أيها المؤمن ، ولا تسـتعد للمشـاجرة ، ولا تكن مدافعاً عن وجهة نظـرك أو عـن حقـك للدرجـة التـى تفقد فيها أعصابك، بل كن مستعداً للتنازل واسمع هذا القول : "ابتداء الخصام إطلاق الماء فقبل أن تدفق المخاصمة اتركهـا" (أم ١٧ : ١٤).

وكل معركة لها طرفان ، فإذا اكتشفت أن هنـاك غضبـاً قادمـاً بسبب عدم اتفاق عليك أن تتراجع وتترك الموضـوع متجـاهلاً مثـل هذه الفروق البسيطة.

٢ - امتنع عن الاقتراب نحوالمعرضين للغضب:

"لا تستصحب غضوبا ومع رجل ساخط لا تجئ (أى صاحب الطبع الساخن) لئلا تألف (تتعلم) طرقه وتأخذ شـركاً (مصيـدة) لنفسك " (أم ٢٤:٢٢ و٢٥).

وهذا صحيـح لأننـا نتشـبه بـالذين نقضـى معهـم أوقاتنـا ، فـإذا صرفت وقتاً مع شخص عاص فإنك تصبح عاصياً مثله وغضوبـاً. والكتاب المقدس يوصيك بأن لا تفعل ذلك .

٣ - احفظ لسانك جيداً:

لا يوجد ما يحطم أية كنيسة أسرع من اللسان غير المنضبط ، فلا الأحداث الأخلاقية ولا المشاكل المالية تفعل ذلك . وكلما حييت اقتنعت أكثر بهذا الأمر .

"الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع (الشديد) يهيج السخط (يحرك الغضب) " (أم ١٥ :١) .

" من يحفظ فمه ولسانه يحفظ من الضيقات نفسه " (أم٢٣:٢١).

وقال أحدهم:

"إن الآلة الوحيدة التى تزداد حدة مع الاستعمال هى اللسان".

ولعل أقوى عضلة في جسمك ليست هى التى فى ساقك بل التى فى فمك، فإذا تحكمت فى لسانك تستطيع أن تصرف عنك الغضب.

٤- ازرع الصدق فى معاملاتك .. ولا تبنى غضبا:

"الغضب قساوة والسخط جراف (فيضان) ،ومن يقف قدام الحسد؟ التوبيخ الظاهر خير من الحب المستتر . أمينة هى جروح المحب وغاشة هى قبلات العدو " (أم ٢٧ : ٤ - ٦).

وما يقابل ذلك فى العهد الجديد ما يلى :

" اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه لأننا بعضنا أعضاء البعض " (أف ٤ :٢٥).

لا يوجد بديل عن الصدق الذى يقال فى محبة .

ولعلك قد فكرت بما يكفى الآن عن الغضب ، وقد حان الوقت للتطبيق العملى ، ليس كما اقترح " مارك توين " ولا "توماس جيفرسون " بل كما يرشدك الكتاب المقدس.

وإذا بدأت تطبيق هذه المبادئ الموحى بها فإنك سوف تغيرنمط حياتك وتتقدم إلى الأمام .

الفصل الثانى عشر

الارتـداد

(المرحلة الأخيرة للمساومة)

إن الرجل الذى احتضنى ودربنى لمدة ثمانية عشر شهراً عندما كنت خارج البلاد ، كانت قيادته إلى المسيح عن طريق مبشر مشهور خلال إحدى الحملات التبشيرية . ولكن حدث بعد قليل أن ارتد ذلك المبشر عن الايمان وتحطمت أسرته وجال فى الولايات المتحدة مثل حيوان لا مقر له ومات سكيراً.

كان هناك شاب عملنامعه أنا وزوجتى حوالى أربع سنوات وكنا نعتبره من أفضل الرجال إذ كان موهوباً بطريقة فريدة سواء فى الناحية العلمية أو الأمور المختصة بالرب ، وقد تمت دعوته إلى الخدمة وقد صلينا معه كثيراً لكى يلمع الله خدمته ويعده كإناء مختار له . ثم بعدما حدثت سلسلة من الأحداث بدأ هذا الرجل يشك فى إيمانه ، ولما زرته آخر مرة لم يكن يشبه الشاب الذى عرفته قديماً إذ ترك إيمانه وكانت كلماته تهكمات على المسيحية .

وفى بداية حياتى الإيمانية كنت منضماً إلى الجانب الموسيقى فى العمل التبشيرى ، وقد عملت مع كثيرين من الشباب الذين كرزوا بالانجيل بكل قوة وأمانة . وكنا نتجول معاً كثيراً وقد باركهم الله بالرغم من أنهم لم يتلقوا تدريباً مهنياً طويلاً وقد استخدم الله حياتهم وعظاتهم.

ولكن اليوم قدأخفق واحد منهم ، وقد تحدثت مع عائلته منذ بضع سنوات قليلة وكانوا منكسرى القلوب لأنه لم يعد ينادى بالرب يسوع المسيح ولم يعد يحيا له .

وليست كل حالات الارتداد هكذا واضحة أو مشهورة لكنها بالتأكيد ليست علنية . ولا توجد كنيسة اليوم تعمل من أجل المسيح وملكوته دون أن تختبر ارتداداً فى حياة بعض أفرادها.

ودعنى أصارحك القول بأنك قد تكون قد اقتربت من هذه النقطة ، أو خطر ببالك أن تشكل طريقك الخاص، أو ربما تعيش الآن حياة لا تمجد المسيح.

وبما أنك لا تجد مثل هذا التحذير المباشر فى كتبنا المسيحية ، لذلك أريد أن أتحدث إليك باستقامة شديدة فى هذاالفصل ، كما أريد أن أوضح لك كيفية بداية الارتداد والسبب الذى يجب من أجله أن تتحول عنه فوراً. ودعنى أحذرك من البداية أنى سوف أكون مباشراً وربما فظاً إلى حد ما.

إذا كنت قد ارتبطت بالإيمان بالرب يسوع فقد أصبحت ابناً لله، وإذا أنكرته فإنه لن ينكرك ، وبالرغم من عدم أمانتك لكنه يبقى أميناً ، ونعمة الله بختم الروح القدس تحفظك على الدوام . والخلاص هو بالنعمة من خلال الإيمان وليس من أنفسنا لكننا نقبله هبة بالإيمان لا بالإعمال ، والهبة هى عطية مجانية يقدمها الله ثم يختمنا الروح القدس حتى نعرفه إلى الأبد.

لكنى أقول لك عندما تختار طريق الابتعاد عن الرب وتغلق أنفك عن النعمة فإنك سوف تتعب، لأنه لا يدع أولاده يشردون أو يلعبون فى شوارع العالم دون قدر كبير من التأديب ، والله جاد جداً فى هذا الأمر. ولعلك لا تجد مكاناً فى الكتاب المقدس لم يعد يدعو الله شعبه بأنهم أولاده

بل كانوا كذلك فـي كل الأحـوال ، وهكذا أنت أيضـا طالما أنك قبلتـه . ولكنك عندما تقع تحت تأديبه وفي حماه الإلهي فـإنك تـدرك ذلك ، وتلك حالة بائسة ومرة ونأتي الآن إلى بعض الأمثلة الكتابية للإرتداد .

خبير في الارتداد:

منذ قرون خلت ، عاش رجل يدعى يوشيا . وقـد اسـتلم قيـادة مملكة يهوذا وهو في الثامنة من عمره ، ولما وصل عمره السادسة عشر بدأ يطلب الرب وسلم نفسه له . وفي العشرين من عمره قلب كـل أوثـان البعـل وعشـتاروث ، ونظـف الأرض ، وحدثـت يقظـة روحية منعشة مثل النسيم البارد في الصحراء ، وصار اسـم يوشـيا على لسان كل شعب يهوذا ، ولكن بعد موته عاد الشعب ثانيـة إلـى نفس الخطايا القديمة للأيام السالفة.

وكان نبي الله إرميا متحدثا بكلامه وكتب كلمات قوية في تلـك الأيام وقد عاش في عصر انتقالي ، وكان يسمى " النبـي المشـئوم " ، وقد كان كذلك حقـاً ، ذلـك لأنـه رأى مـاذا كـانت خطايـا الشـعب تقودهم إليه وقد قال لهم مراراً إن الموت قادم عليهم والعبوديـة فـي انتظارهم والأسر يحيط بهم من كل جانب ، ولا مفر مـن المصـير السـئ إذا اسـتمر الحـال كمـا هـو ، ولذلـك طلـب منهـم أن يغـيروا أذهانهم ويرجعوا تائبين . لكنهم تجاهلوه لمدة أربعين عاماً.

وعاش إرميا لكـي يـرى اليـوم المشـئوم عندمـا تقـدم البـابليون وسحبوا شعب إسرائيل إلى الأسر ، وترك لنـا النبـي سـجلاً مكتوبـاً

يحوى ذات الكلمات التى حذرهم بها وسلمها لهم عندما كانوا فى ارتدادهم . وإنى أريد أن نمعن النظر فى هذه الأجزاء الكتابية ونقرأها بفهم . وبعد ذلك سوف نوجز خمسة مواقف رئيسية تشير إلى الارتداد.

إعلان يوم الدينونة

قال الله لإرميا هكذا :

"اذهب وناد في أذنى أورشليم قائلا : هكذا قال الرب: قد ذكرت لك غيرة صباك (تكريسك لى وقت شبابك) محبة خطبتك . ذهابك ورائى فى أرض غير مزروعة . إسرائيل قدس للرب أوائل غلته " (إر ٢ : ٢، ٣).

وهنا يتطلع الله إلى الماضى ويتذكر أيام البركة والمحبة والتكريس ، ولذلك طلب أن تتذكر أورشليم الأيام الأولى وكيف كانت عظيمة ، لقد كانت مثل شهر عسل روحيا ، وكان كل شئ منعشاً وجديداً . وليتذكر الشعب هذه الأيام عندما كنا نحب بعضنا البعض ، وقد كنتم أمناء معى وكنت أنا صديقاً وأبا لكم كما كنتم تسيرون فى طريق الطاعة لى .

ولكن تغير المنظر:

"اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل . هكذا قال الرب : ماذا وجد فى آباؤكم من جور (ظلم) حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً ، ولم يقولوا أين هو الرب الذى أصعدنا من مصر الذى سار بنا فى البرية فى أرض قفر وحفر فى أرض يبوسة وظل الموت فى أرض لم يعبرها رجل

ولم يسكنها إنسان ؟ وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها فأتيتم ونجستم أرضى وجعلتم ميراثى رجساً. الكهنة لم يقولوا أين هو الرب ؟ وأهل الشريعة لم يعرفونى والرعاة عصوا على والأنبياء تنبأوا ببعل وذهبوا وراء ما لاينفع" (إر ٢: ٤ - ٨).

(ونلاحظ أن الذين ارتدوا ليسوا الشعب فقط بل أيضاً الأنبياء والكهنة والوعاظ والسياسيون ، وتحولوا كلهم ضد الله).

فماذا حدث ليهوذا إذن ؟

إن الأيام الماضية كانت مليئة بالبركة والسرور ، لقد كنا نسير ونحب بعضنا بعضاً ، ولكن الوضع اختلف الآن ولم تعودوا أنتم كما كنتم . لقد أعطيتكم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً لكنكم حولتم كل شئ وتجاهلتمونى ، بيد أنى لم أتغير كما تغيرتم أنتم ! وأين المتكلمون عنى ؟

ثم يرد هذا التحذير:

"والآن مالك وطريق مصر لشرب مياه شيحور (مياه النيل) ومالك وطريق أشور لشرب مياه النهر(الفرات) - بمعنى إنكم فى طريق خاطئ ! وأنا أحذركم لأنكم انحرفتم- يوبخك شرك وعصيانك (او إرتدادك) يؤدبك ، فاعلمى وانظرى إن تركك الرب إلهك شر ومر وأن خشيتى ليست فيك يقول السيد رب الجنود" (إر ٢ : ١٨ و ١٩).

ولعل هذه كلمات حادة لكنها وصف كامل للمرتد.

والخطوات التى سار فيها أولئك اليهود المرتدون هى بذاتها التى يسير فيها المرتد ، ولعلها تنطبق عليك الآن إذا كنت على حافة الارتداد أو انغمست فيه فعلا مبتعداً عن الإيمان .

ولكى نكون أكثر تحديدا ، وربما أكثر ايلاما ، دعونا نفحص خصائص الإرتداد كما يلى :

خمس علامات للإرتداد

١ – الارتداد لا يحدث فجأة:

عندما وجه إرميا كلامه إلى شعب الله اليهود ، ذكرهم بأنهم تاهوا عن الطريق لا فجأة بل باتباع مسلك آبائهم (إر ٢ : ٥ , ٧) ونلاحظ التقدم هنا فالآباء أخطأوا لكن الابناء استمروا فى الخطية ولا يوجد شخص يصل إلى القاع فجأة كما لا يوجد ما يسمى "بالارتداد اللحظي" ولكن التأكل يتم فى فترة ما . وعندما تحدث مساومة بسيطة تتبعها مساومة ثانية ثم تتحدان معاً فى مساومة أكبر. ويبدأ الارتداد فى حياة الفكر ثم يأخذ طريقه إلى القلب (حيث مكان اتخاذ القرارات وتكوين المعتقدات) ثم يصل إلى حياة العمل، ولكنه يستهلك وقتاً حتى يسلك هذا الطريق .

ولم يسقط هؤلاء الناس فجأة فريسة للعدو ، بل تم زرع بذور الارتداد منذ سنوات قبل أن يتم الحصاد.

إنك تزرع بذور الارتداد فى حياتك إذا كنت تفعل أشياء لا تليق فى حياتك ، أو إذا كنت تساوم مع أفكار لا يجب أن تبقى فى ذهنك سواء كنت خارج المدينة أو فى مكان سرى فى بيتك فى المساء، أو فى حجرتك أو فى سيارتك حيث تقودها كل يوم أو من خلال قراءاتك أو تسلياتك ، فإن كانت هذه الأمور لا تتفق مع الله ، فهذا هو زمن الزرع. ولعلك تتصت لي، لأنها يجب أن تقلع وتحرث بعيداً.

لقد عشت طويلاً وتعاملت كثيراً مع أناس سمحوا لهذه البذور أن تنمو ولكن لما هو أسوأ . فالمساومة اليوم تقود إلى عادة غداً ،

وهذه العادة سوف تحدد مستقبلك ، و لذلك أقول لك أن تنزع البذرة الآن.

قال القديس بولس : " امتنعوا عن كل شبه شر" (١تس ٥ : ٢٢) . بمعنى أن نمتنع حتى لو كان المظهر "شبه شر".

وليتك تتذكر أن البداية ليست كبيرة أبداً ، والطرق المؤدية إلى الارتداد لا تحمل علامات تحذير ضخمة ، بل تجدها ناعمة وجذابة وحسنة المظهر. والعدو له من الذكاء والدهاء أن يقدم لك طعماً قد لا تلحظه جيداً فى البداية فلا تتحذر منه وترفضه بل هو عادة يكسب الوقت (راجع الفصل السابع من هذا الكتاب) .

٢ – يحدث الارتداد عادة فى أوقات البركة :

"وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها ، فأتيتم ونجستم أرضى وجعلتم ميراثى رجساً"(إر ٢: ٧).

هل تعلم متى أخطأ داود؟ لقد ارتكب خطيته فى أوج حياته ، وقد نشبه حياته بالمنحنى الذى يرتفع ثم ينخفض لأنه بدأ راعياً ثم صار ملكاً لإسرائيل ، وقد أحبه الشعب ومدحوه كثيرا ولم يفقد ولا معركة واحدة وكان سبب امتداد للمملكة بدرجة عظيمة . وفى ذلك الوقت من النجاح كان داود يسعى لدمار نفسه.

إنه عندما تأتى التجارب تنتقى حياتنا ، لكن عندما يأتى النجاح نصبح معرضين للسقوط ، وأرجو أنك لا تنسى ذلك !

وإذا فكرت فى رجال الكتاب المقدس الذين خذلوا الله فى حياتهم ، ففى أعقاب أعظم نهضة فى التاريخ نجد أن يونان ارتد ، وتوسل إيليا إلى الرب لكى يأخذ حياته بعد ساعات قليلة من نزوله من على جبل الكرمل حيث نال هناك شعبية عظمى وقوة فى عيون

الشعب . ولهذا فإن أكثر الأوقات التى نكون فيها عرضة للسقوط هى أوقات التمتع بالنجاح . وكما أعطى الله لإسرائيل ثمار الأرض لكى يأكلوها فإنهم قد نجسوها وجعلوها رجساً.

وإليك هذه التحذيرات :

عندما تحقق درجات عالية فى المدرسة فإنك أكثر عرضة للسقوط.

عندما تبدو عائلتك متقاربة جداً وقوية فإنها على وشك السقوط.

وعندما يصل عملك إلى مستوى لم تكن تحلم به فتلك حالة تعرضه للسقوط .

وبالنسبة للراعى ، إذا كنت تمتع ببركات الله وتنمو كنيستك وتمتد شهرتك فاعلم أنك معرض للسقوط.

إحترس لنفسك ، لاسيما عندما تبدو الأمور مقلقة ، أو عندما يستقر بك الرضا الذاتي.

وإذا كنت ممن خدموا بالقوات المسلحة فأنت تعلم أن أنسب وقت للهجوم هو بعد كسب المعركة فوراً . والاتجاه يكون عادة هو الجلوس للاحتفال وتسهيل الأمور ، ولكنى تعلمت فى البحرية أن المحاولة الصحيحة بعد الانتصار مباشرة هى أخذ وضع الدفاع السريع ، ويجب أن يتم الاتصال بكل القوة المدافعة لكى تتم السيطرة فى وقت الانتصار هذا . وربما أن " تظل " منتصراً قد يكون أشق من "نوال" الانتصار فى حد ذاته .

٣ - يزدهر الارتداد تحت القيادة الضعيفة :

لقد أشار إرميا إلى قادة الشعب ، وذكر أولاً الكهنة الذين " لم يقولوا أين هو الرب؟ " ، وعندما كان الشعب يتقدم للعبادة ويأتى بالذبائح لم يقل الكهنة : " ما حالكم مع الرب ؟" ولم يتحدثوا عن الله، بل انعدم الاحساس بالمسئولية الروحية .

"أهل الشريعة لم يعرفونى " وهم الكتبه الذين تدربوا خصيصاً لنسخ الكتاب المقدس ، ولكنهم لم يعرفوا الرب ، بل كانوا يمارسون طقوساً لدين رسمى .

وحتى الأنبياء والرعاة (الحكام) "عصوا علـيّ" وتنبأ الأنبياء بالأصنام (البعل) وساروا وراء ما لا ينفع .

لقد ذكرت سابقاً أنك لن تجد كنيسة كاملة ، ولكن هناك فقط فى ذلك الاجتماع السماوى حيث يتكمل الأبرار ويتقابلون حول عرش الله ، وهناك فقط تكون العبادة الكاملة والنظام.

ولئن كنت أعتقد بأن القيادة الضعيفة أفضل من لاقيادة على الإطلاق لكنى أحذرك بأن تأخذ منتهى الحذر عندما تكون فى كنيسة بها قيادة روحية ضعيفة . وأعتقد شخصياً بأن هناك خطأ تعليمياً يجب أن ترسمه لنفسك.

وإنى أحمل إعجاباً لأولئك الذين يستمرون أقوياء ونشيطين بالرغم من وجودهم فى كنيسة نائمة وهم يحاولون إيقاظها.

ومن واقع إدراكى لتاريخ الكنيسة (وأعتقد أن هذا يصدق أيضاً فى التاريخ الكتابى) أقول لا استثناء أن الرعاة هم الذين يخطئون أولاً ثم تأتى الرعية بعد ذلك ، ولا أتحدث هنا عن الخطية الفردية المستقلة بل عن الانزلاق فى الكنيسة والانحراف ، والقادة عادة هم الذين يفسحون الطريق لذلك.

ومن هم الذين خاطبهم القديس يوحنا فى رسائله إلى السبع الكنائس؟ إنهم قادة هذه الكنائس . وقد دعا الجميع إلى التوبة ، ولكن كان الكلام أساساً إلى القادة ، ولذلك وجهت هذه الكتابات إلى رعاة أى ملائكة تلك الكنائس.

ومنذ القديم حتى فى القرن الرابع الميلادي، كان يوحنا ذهبى الفم (ربما أعظم كارز عرفته الكنيسة) يقول : " إن الطريق إلى الجحيم مفروش بعظام الكهنة المخطئين " ، كما يتوجه الراعى هكذا أيضا الرعية .

ولعلى أتوسل هنا إلى الرعاة فى اسم ربنا يسوع المسيح أن يكرزوا ببشارة الانجيل كما هو ، وأقول لهم كونوا ثابتين فى الإيمان المستقيم وكونوا أحياء فى الروح خادمين الرب. ولا يعنى أن المتيقن تعليمياً يكون سلبياً فى أمور الخدمة المتنوعة ، ولا يوجد ما يمنع أن يلجأ كل من له مشكلة فى إيمانه أو فى بيته أو فى حياته الخاصة إلى راع تقى من رجال الله لكى يستشيره ويعيده إلى الصواب مع الرب.

أيها الزملاء الرعاة، إن الوحى يحذرنا بأننا سوف نواجه دينونة كمتكلمين عن الله ، وكما أن هناك ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن عن الأمور الحسنة التى أعدها الله للذين يحبونه ، فلا أعتقد أننا نستطيع أن نتخيل مقدار الرعب فى دينونة خدام الإنجيل الذين لا يعرفون ولا يتبعون المسيح ومن ثم يضلون الرعية . وليت الله يساعدنا حتى نكون رجالاً أمناء.

إن القيادة الفقيرة تسبب الارتداد عن المسيح . وعليك أن ترتبط بكنيسة يوجد فيها المسيح ويُنادى فيها بكلمته المطاعة من الجميع.

٤ – الارتداد يتضمن خطيتين محددتين: تـرك الإله الحقيقـي والبحث عن بديل :

وهذا ما قاله الرب نفسه :

لأن شعبى عمل شرين :

١ – تركونى أنا ينبوع المياه الحية ،

٢ – لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشققة لا تضبط مـاء " (إر ٢:١٣).

والناس الذين عاشوا وأحبـوا وسـاروا مـع اللـه ثم رجعـوا قد ارتكبوا خطية مزدوجة إذ أنهم تركوا الله واستبدلوه بما هو زائف . وقد تلاحظ أن الله يقول "ينبوع المياه الحية " لكن البديل كـان شـيئاً فقيراً ومحطماً وغير نافع لأنه لا يضبط ماء بمعنـى أن هـذه الآبـار سوف تجف بكل تأكيد.

إن الارتـداد يفعـل ذلـك . فـإذ كنـت فـى بدايـة الارتـداد فـإنك بلاشك تتحول عن الرب ببطء وتضع بديلاً صناعيـاً مكانـه، وكـأنك تقـول: "إنــى لا أريـده ولا أريـد هـذه المقـاييس الصــامدة القديمــة ، ولكنى أريد ما هو مثير وجديد " ، وربمـا تحـاول أن تحصـل علـى الأخلاق الجديدة (وهى فى الواقع عدم الأخلاق القديمة ولكن تحـت عنوان جديد)، فإذا كان الأمر كذلك فأنت تحفر آباراً لا تضبط ماء، وكل بديل كاذب لا يمكن أن يشبعك أو يرويك.

وفى خلال العشرين عامـا لخدمتـى هنـاك وجـع كبير يؤلمنـى أكثر من غيره ، وذلك هـو التـبرير (بمعنـى التسـويغ أى التفسـير العقلانى للأمور) وإنى أذكره هنا لأنــه يـأتى بعـد التفكـير المـزدوج الذى نحن بصدده الآن أى الترك ثم التبديل (أو التعويض) . وهنا

يتم تنحية الحق جانباً ورفضه عادة بشدة، وحيث أنه يتم "شرحه بعيداً" لذلك فهناك مبرر للخطية التى تتبع ذلك وكأنها بديل لما سبق رفضه ، وهذا البديل ليس من الله لكنه من صنع الإنسان .

• ولقد رأيت ذلك يحدث مرة بعد الأخرى ، سواء فى الزواج على سبيل المثال عندما ينهك الشريك من جراء المنازعات والصراعات المستمرة وبالتالى يبتعد عن طريق تعهده (كزوج أو زوجة) دون أى مبرر كتابى لهذا التصرف (انظر الملحوظة القادمة) وبدلاً من أن يشعر بالذنب أو بتأنيب الروح القدس فإنه يبتسم ويبدو أكثر سعادة عن ذى قبل . وهكذا يحل محل عهدالزواج مفهوم آخر بفلسفة جديدة (عادة فى غاية التعقيد) فماذا حدث إذن ؟ لقد سار التبرير مسلكه معتمداً على أسلوب التبرير الذاتى وكلاهما يتفقان معاً .

ولعلى لا أعلم مكانك الآن لكنى أحذرك بأن الآبار المشققة سوف تنضب سريعاً ، وهذا يأتى بى إلى العلامة الأخيرة والخامسة للارتداد.

محلوظة : بعد دراسة وافية للكتاب المقدس عن موضوع الطلاق والزواج ثانية ، فقد توصلت إلى أن هذا مباح فى حالتين هما :

أولاً : اذ كان الشريك مذنباً فى الزنى ويرفض الحياة الأمينة مع الطرف الآخر ، فالطرف الأمين له حرية الترك والزواج مرة أخرى (مت ١٩ : ٣ - ٩).

ثانيا : إذا تزوج المسحى بغير مسيحية (أو العكس) ويترك غير المؤمن الطرف الآخر المؤمن (أو يهجره أو يبغضه أو

يرفض قيامة بواجباته الزوجية) فالطرف المهجور له حق الترك والزواج مرة أخرى (١كو ٧ : ١٢ - ١٥).

والمثالية فى الحالتين واردة (إذا كان الطرف المتضرر يستطيع أن يغفر أو يحتمل) بمعنى استمرار الزواج قائماً بنعمة الرب وقوته . ولكن هناك حالات لا يمكن فيها ذلك ببساطة . وماأقصده من التبرير هو تحطيم زواج بلاسند كتابى لفعل ما .

٥ - يوبخك شرك وعصيانك يؤدبك " (إر ٢ : ١٩) :

بمعنى أن شرك سوف يصحح لك مسارك وارتدادك سوف يقودك فى النهاية إلى نتائجه . وأعتقد أن هذه هى أسوأ المبادئ كلها، وليس الله هو الخاسر ولا الشيطان هو الرابح لأن دينونته محتومة ، ولكنك أنت هو الخاسر !

ولعلى لم أرقط مرتداًعن المسيحية وهو فرحان .. لم يحدث ذلك على الإطلاق ، كما لم أسمع أحدهم يقول لى : هذه أسعد سنوات حياتى !

ويقول إرميا :

" أعبدُ إسرائيل أو مولود البيت هو ؟ لماذا صار غنيمة ؟ زمجرت عليه الأشبال ، أطلقت صوتها وجعلت أرضه خربة- وكلمة الاشبال كناية عن الشرور التى فعلها شعب إسرائيل " (إر٢: ١٤ ، ١٥)

وعندما نتقابل مع مؤمنين مرتدين تجدهم يهربون منك مثل الثعابين ، وإذا رأينهم على أحد جانبى الطريق فإنهم يسلكون

الجانب الآخر حتى لا تراهم لأنهم لا يتجاسرون مقابلة مؤمن منتصر وتجدهم يغيرون دائرة صداقاتهم وربما أعمالهم ، وقد يفعلون أى شئ فى سبيل الابتعاد عن أولئك الذين يصبحون مصدر توبيخ لهم . وبدون كلام .. مجرد اللقاء يكون سبباً لذلك وإذا كنت أنت الآن فى حالة ارتداد فلا شك أنك تفهم ما أعنيه بالضبط.

العلاج

هل لا يوجد أمل؟

وهل لابد أن يحيا المرتدون بين مخالب الخطية ؟

كلا ، هناك علاج نجده فى سفر إرميا:

"أذهب وناد بهذه الكلمات نحو الشمال وقل ارجعى أيتها العاصية إسرائيل يقول الرب لا أوقع غضبى بكم لأنى رؤوف يقول الرب ، لا أحقد إلى الأبد، اعرفى فقط إثمك... " (إر ٣ : ١٢ ، ١٣).

والعلاج هو فى هذين الفعلين : " ارجعي" ، "اعرفي" (عدد ١٢ ، ١٣).

ويبدو أن هذا ليس صعباً ، وهذا صحيح . وربما يبدو أيضاً أن الله ليس غاضباً أو حاقداً جداً ، وهذا أيضاً صحيح ، لكن قلبه منكسر لأنك ابتعدت عنه وهو يقف مثل الآب المحب الذى يقول لك: تعال إلى البيت ولا تبتعد أكثر من ذلك .

كثيراً ما يجول بخاطرى ذلك المثل الشهير للرب يسوع عن "الشاب المتجول والأب المنتظر" والذى ندعوه عادة مثل " الابن الضال " ، وقد ذكرته فى الفصل السابق وأنه قرر أن يجرب كل ما

فى العالم بحثاً عن السعادة ولذلك ترك (ارتدعن) بيته معتقداً أنه سوف يجد كل ما اشتهاه.

ولكن هل تعلم أين وجد ذلك فى النهاية ؟ عندما عاد ثانية إلى بيته .. لقد أراد الشهرة وكثرة الانجاز ، ولم يجد ذلك إلا بعد عودته للمنزل . لقد أراد الحب فلم يجده بعيداً عن البيت ، ولذلك عاد إليه .

ولكن هل قابله أبوه ؟

كلنا نعلم أنه كان فى انتظاره على الطريق ، ولما رآه قادما إليه ركض نحوه واحتضنه وقبله وقال له :"ابنى لقد كنت ضالاً لكنى وجدتك الآن لأنك عدت إلى منزلك".

إن التوبة الحقيقية لا يرفضها الآب أبداً ، بل يشجعها باستمرار.

تحذير أخير

كتب "جون كونواى " كتاباً بعنوان " الرجال فى أزمة منتصف العمر " ووضع أصبعه على سبب كبير للمساومة فى حياتنا ، وشرح معضلة مألوفة لدى كثيرين وقال :

إن الرجل الذى يقترب من منتصف حياته تحدث له أوقات صعبة وغريبة أمامه ، وربما يتفاوض حول الصعود إلى القمة دون مجهود شاق وربما يفكر أن يصل إلى ذلك (بالفهلوة) !.. بالذكاء الشيطاني.

وأزمة منتصف العمر هى وقت خطير بالنسبة للزيجات ، فهى الوقت الذى قد يحدث فيه اضطراب فى سيرة الحياة ، كما أنه وقت الاكتئاب والغضب والاحباط والعصيان و ....

وعندما يصل الرجل إلى القمة ، قد يتلفت إلى الوراء لكى يرى من أين أتى ثم إلى الأمام لكى يرى ما ينتظره ، ثم ينظر إلى نفسه ويسأل هكذا : والآن أنا بعدما تسلقت هذا الجبل فهل تغيرت ؟ وهل أنجزت ما أريد؟ وهل أتممت شيئاً ؟

وفى مثل هذه الأوقات يقف عدو نفوسنا لنا بالمرصاد ، وهذه الأسئلة فى مثل ذلك الوقت قد تقودنا بسهولة إلى إجابات خاطئة وربما تقودنا إلى الميل نحو التحرر فى الحياة ولو بقدر ضئيل . وربما ينطبق هذا الكلام عليك الآن ، ولكنى أحذرك كصديق يهتم بأمرك ، بأنك قد تكون واقفاً الآن فقط، لكن ما أن يحدث لك شئ يعادل ويقاوم ما أنت عليه فأنت إذن فى طريقك إلى السقوط . ويقول الكتاب:

" إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط" (١كو ١٠ : ١٢).

ولعلى لا أعلم أين تقف أنت الآن ، وربما تكون فى خطر مكان الارتداد أو قريباً منه ، سواء فى الجانب الأخلاقى أو المادى أو مجال الأمانة فى عملك ، وربما لم تُمسك من قبل ، وربما تكون خادماً للإنجيل أى قد سبق لك اختبار فرح خدمة الرب يسوع بنقاوة وابتهاج لكن الشرارة انطفأت ودخلت المساومة حياتك.

وما أريد أن أقوله لك إنه مهما كان الارتداد فلابد أنه سوف يزداد ثم يهينك فى يوم ما . وربما يشجعك الشيطان أنه طالما لم تمسك فكل شئ على ما يرام . ولكن ياصديقى أنت " ممسك " الآن، فهل أنت تساوم فى زواجك؟

إنى أريدك أن " تعرف" الخطأ ثم " ترجع" إلى الرب . كما أحذرك لكى ترجع ، وإن لم ترجع فإن الكارثة تنتظرك . وليتك

الآن أن تعترف من كل قلبك بخطاياك الواحدة بعد الأخرى ، ودع كل شئ أمامه ولا تنتظر حتى تسؤ كل أمور ارتدادك وتتقيها كما تظن .

اعرف حالك الآن ،

وتحول عن طريقك،

ارجع إلى الرب يسوع المسيح،

وافعل ذلك الآن .

الخاتمة

بعض التأملات الختامية عن الصبر

كيف تصبح مجبراً على ممارسة ما أكرز به الآن ؟

إن هذا الكتاب كله عن الصبر خلال الضغوط قد تمت كتابته أثناء فترة تجديد منزلنا ، وهناك بعض الفصول منه قد كتبتها في أماكن لن تصدقني إذا ذكرتها لك ، وأحياناً كنت أجلس على أشياء لن أذكرها ، ولكني بقيت صابراً ومثابراً حتى لو لم أجد منضدة أو مكتباً أسند إليه للكتابة أو بدون قلم أكتب به ، وليتك تصدقني في ذلك . وقد مرت على أوقات اقتنعت فيها بالاستسلام ، ولكن العمل قد تم في النهاية وهرب ذلك الفكر من رأسي، فشكراً للرب لاتمام الكتاب.

والصبر له دائماً عمله .

كان " فرانكل" ضمن الرجال الشجعان الذين عاشوا خلال أهوال النازية ، والواقع إن السبب الوحيد الذى نجاه من القتل مع اليهود الآخرين كان هو تعيينه طبيباً خاصاً لبعض الضباط في الجيش النازى ، ولقد تحمل ما لا يمكن وصفه ، لكنه صبر وعاش. ومن الأقوال التى نتذكرها عنه وكان يعتبرها فلسفة أساسية في حياته ما يلى :

" إن السبب الذى من أجلـه يوجد كثيرون غير سـعداء اليـوم وأنهم يسعون للمساعدة من أجل التوافق فى الحياة هو أنهم يفشـلون فى فهم موضوع التواجد البشـري، ومـالم نـدرك بـأن الحيـاة ليسـت مجرد شئ نتمتع به بل بالحرى هى " عمل " مرسوم لكل واحد منا، فإننا لن نجد معنى لحياتنا ولن نصبح سعداء بحق " .

وربما لا يتفق ذلك مع ما قد تعلمته أنـت منـذ أصبحـت مؤمنـاً وفى الواقع هذا صحيح. كما أن ذلك لا يتفق حتى مع شعار صغـير تعلمته وأنا طفل هكذا : " ابتسامة كل يوم تبقى إبليس بعيداً".

لكن ذلك غير صحيح ، ولعل " فرانكل" على حـق ، ذلـك لأن الحياة عمل .. وعمل شاق ، وأحيانا يكون غير محتمـل ، أو فـوق الطاقة ...

وإننا فى بعض الأيام نفعل فقط ما يجعلنا نستمر فـى الحيـاة ، ولذلك أصبح الصبر ضرورياً للحيـاة ، وهـو المفتـاح الوحيد لبـاب الأمل . ومن خلال الصـبر تبنـى الشـخصية وتصبـح قويـة وصلبـة حتى يأتى الرجاء.

ولكن " فرانكل" لم يقل ذلك ، بل قاله يهودى آخـر فـى عصـر مختلف ، ألا وهو بولس الرسول : "بل نفتخـر أيضـاً فـى الضيقـات (لماذا؟) عالمين أن الضيق ينشئ صبراً، والصبر تزكيـة (اختبـاراً أو شخصية) والتزكية رجاء" (رو ٥ : ٣).

ولماذا الاستمرار فى الصبر؟ ولماذا الإستمرار فى الثبات ضد التيارات القوية للتجربة أو الخوف أو الغضب أوالخسارة أو الضيق أو المستحيلات ، أو سـوء الفهـم أو الأخطـاء ؟ ولمـاذا نحـارب الارتداد؟ ولماذا نتغلب علـى الدونيـة ؟ ولمـاذا الانتظـار ؟ لمـاذا ؟ أقول لكم لماذا.

السبب أنه فى الميدان الواقعى فإن الشخصية الحقيقية للإنسان تتشكل وتصاغ وتتدرب وتصقل ، ولذلك فكلما أعطينا أقصى فرصة لحياة الرب يسوع المسيح أن تثمر فينا وتنزع من حياتنا كل ما يشوبها وتعطينا مجموعة اقتناعات داخلية تساعدنا على ممارسة الحياة وليس الهروب منها .

وبما أن الحياة عمل ، فإننا نحتاج إلى قوة لمواجهتها وليس إلى سرعة للهروب منها.

وعندما يتزعزع الأساس ، وعندما يصبح الأصدقاء المؤمنون– وحتى القادة – فى حالة سيئة أو فى ارتداد، وعندما نصل إلى الحضيض وتهب رياح عاتية لكى تقتلعنا من جذور الإيمان إلى الشك ، فعندئذ نكون محتاجين إلى كل ما يقدمه لنا "الصبر " ، بمعنى تقبل كل ما يحدث مع التمتع بالقوة لمواجهته والعزم على الثبات والبصيرة التى نرى بها يد الرب فى كل شئ.

وبدون الصبر فإننا نعثرونسقط ، وهذا يحزن الله .

ولكن بالصبر نحيا وننتصر ،وهذا يمجد الله.

محتويات الكتاب

فى هذا الكتاب

ما أقسى الحياة تحت ضغوط العالم ، لا سيما فى عصرنا الحالى عصر الماديات وإثبات الذات ، حينما نجد أنفسنا تحت أحمال خطيرة وثقيلة من القلق معلقة على خيوط رفيعة للغاية من الصبر والاحتمال .

وكثيراً ما تنقطع هذه الخيوط وتشتعل الطباع وتتألم الأمعاء ، وتحدث القروح الدامية ، وتنكسر القلوب وتنهار الأعصاب وتنفجر العقول وربما يهوى البعض .

وكل هذا يجرى لأناس يؤمنون بالله ويحبون الله بشدة ويتمسكون بالكتاب المقدس ... ويريدون حقاً أن يسلكوا بالطاعة ..

ومع ذلك نجد أنفسنا فى هاوية الصراع النفسى ، تحت تهديد سوء الفهم من الذين حولنا ، أو الشعور بعدم الثقة بالنفس ، أو الخوف ، أو التعصب ، أو الغواية .... الخ .

وفى هذا الكتاب الذى له نغمة مختلفة لأنه لا
عن البركات الفجائية أو النجاح الذى يحدث فى لي
يتحدث كثيراً عن الوقوف بثبات فى الأيام الص
تعبير خبا كثيراً فى هذا الجيل الذى أبرقت
المعجزات الروحية .. وهذا التعبير هو المثابرة أو ال

